رسالة اليونسكو

يوليو-سبتمبر 2017

تطهير وسائل الإعلام من التلوّث

منظمة الأمم المتحدة
للتربية والعلم والثقافة

ISSN 2220-3540

ساهم في هذا العدد

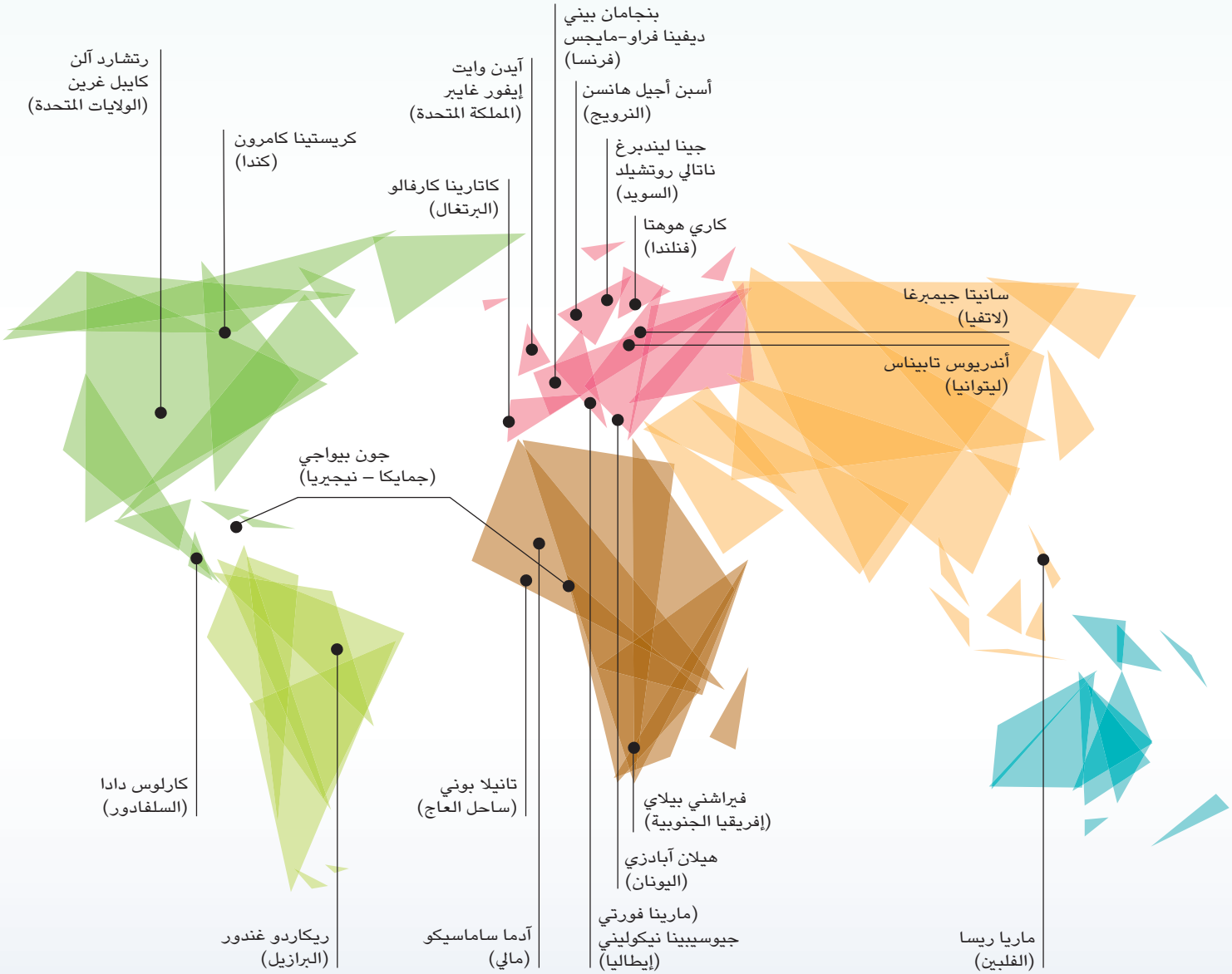

2017 / العدد 2 – تصدر منذ 1948

تصدر ***رسالة اليونسكو*** فصليا وتطبع بسبع لغات، عن منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة. هدفها التعريف بالمثل العليا للمنظمة من خلال نشر تبادل الأفكار حول مواضيع ذات بُعد دولي ومتعلقة بالمهام الموكولة إليها.

تصدر ***رسالة اليونسكو*** بفضل الدعم السخيّ الذي توفّره جمهورية الصِّين الشعبية.

المدير المسؤول : إيريك فالت
المدير المنفذ : فانسان دي فورني
مديرة التحرير : ياسمينا شوبوفا
مدير الإنتاج والترويج : إيان دنيسون
أمينة التحرير : كاترينا مركيلوفا
محرّرة النسخة الإلكترونية : مالاهات إبراهيموفا
المهندس في الرقمية : دنيس بتزاليس

محرّري اللّغات :
الإنجليزية : شراز سيدهفا
العربية : أنيسة البرّاق
الصينية : دار الصين للترجمة والنشر
الإسبانية : لوسيا إغليسياس
الفرنسية : إيزابال موتشان-برون
البرتغالية : آنا لوشيا غيمارايس
الروسية : مارينا يالويان

الترجمة : منير الشرفي، خالد أبو حجلة
إخراج الصور : دانيكا بيجلجاك
التصميم : كورين هايورث
صورة الغلاف : © سلسوك
الطباعة : اليونسكو

الإشتراك بالنسخة الإلكترونية مجاني
http://ar.unesco.org/courier

الإرشادات وحقوق إعادة النشر: *courier@unesco.org*
7, place de Fontenoy, 75352 Paris 07 SP, France

© UNESCO 2017

ISSN 2220-3540 eISSN 2220-3559

مجلة فصلية حرّة الإقتناء، بترخيص من
Attribution-ShareAlike 3.0 IGO (CC-BY-SA 3.0 IGO)
(http://creativecommons.org/licenses/by-sa/3.0/igo/)

يعترف مستعملي محتويات المجلة بقبولهم شروط الإستعمال المنصوص عليها في نظام التوثيق المفتوح لليونسكو
http://ar.unesco.org/open-access/

يطبق هذا الترخيص حصريًا على استعمال النصوص. بالنسبة لاستعمال الصور، من الضروري توجيه طلب إلى اليونسكو للحصول على ترخيص مسبق.

إن التسميات وطريقة تصميم المعطيات الواردة في هذه النشرية لا تعبّر عن أي موقف لمنظمة اليونسكو حول الوضع القانوني للدول، وللأراضي، وللمدن أو المناطق، أو حول الهيئات الحاكمة، أو الحدود المرسومة.

تعبّر المقالات الواردة في هذه النشرية عن أفكار وآراء مؤلّفيها، وهي ليست بالضرورة آراء منظمة اليونسكو ولا تلزمها بأي شكل من الأشكال.

@ Alvaro Cabrera Jimenez / Shutterstock

رسالة
اليونسكو

إيرينا بوكوفا
المديرة العامة لليونسكو
Yulian Donov ©

الافتتاحية

كلّما ظهرت وسيلة إعلام جديدة، إلّا وأحدثت ثورة : الطباعة، الإذاعة، التلفزيون، الإنترنت، كلها غيّرت وجه المجتمعات، وطرق الإخبار والمعيشة وتنظيمها.

وكلّما ظهرت وسيلة إعلام جديدة، إلاّ وارتفعت أصوات لتجزم بأنها ستقضي على سابقتها: ستقضي الإذاعة على الصحافة المكتوبة، والتلفزيون على الإذاعة، ووسائل الإعلام الرقمية على كافة وسائل الإعلام الأخرى... في حين أن المشهد الإعلامي الحالي يُبرز أيضا التكامل بين مختلف وسائل الإعلام والاتّصال وتأثير بعضها على بعض والتفاعل في ما بينها، ممّا يجعل كلّا منها إضافة وإثراء للآخر.

لم يسبق لنا أن تواصلنا بهذا القدر، ولا بهذا الإنتشار. فلقد فتحت التكنولوجيات الحديثة سبلا جديدة تسمح لمواطني العالم بأسره بالحصول على معلومات أكثر تنوّعا وأكبر عددا، وبأن يلعبوا دورا جديدا في إنتاج المعلومة، ليصبحوا، هم أنفسهم، مُنتجين للمحتويات. كما خلقت أيضا حواجز جديدة وأثارت لدى وسائل الإعلام الحديثة، تحديات جديدة في ما يتعلق بمجالات التعديل وأخلاقيات المهنة.

من أين يأتي الخبر ؟ وكيف يُصنع ؟ من الضامن لجودته ؟ كيف يمكن التفريق بين الصحيح والخاطئ في هذا النسيج الذي حاكته مليارات المعلومات الآتية من كل صوب ؟ ففي هذا التشابك المهول لوسائل الإعلام، تغيّرت الأدوار التقليدية للمنتجين والموزعين والمستهلكين للخبر. تهاطل الأخبار الزّائفة (*فايك نيوز*) وخطر حبس المُتلقّين للمعلومة في "فضاءات التصفية" التي صاغتها الخوارزميات، تطرح تساؤلات جديدة حول حرّية التعبير وحول التنوّع الثقافي.

إن تعدد الأفكار المستنيرة هو شرط لا يمكن الإستغناء عنه لتطوير الديمقراطية في مجتمعاتنا. وجودة الأخبار المنشورة في وسائل الإعلام – التقليدية منها والحديثة – هي أساسية في تكوين الرأي العام. لذلك، أكدت اليونسكو بصفة خاصة على التربية على وسائل الإتصال والإعلام، باعتبارها من الكفاءات الأساسية للمواطنة في القرن الواحد والعشرين.

إن حرية التعبير، والتنقل الحر للأفكار بواسطة الكلمات والصور، تعدّ من المبادئ التأسيسية لليونسكو، وتندرج في صميم جدول أعمال 2030 للتنمية المستدامة. واليونسكو تُساند عمل الصحفيين والمناضلين العازمين على الدفاع عن الحريات الأساسية، مثل الصحافي داويت إسحاق، الحائز على الجائزة العالمية لحرية الصحافة اليونسكو/غيلارمو كانو 2017، الذي يمكن الاطّلاع على مقال وصفي بخصوصه في هذا العدد من *رسالة اليونسكو*.

خلال العشرية المنقضية، تجاوز عدد ضحايا الجرائم التي ترمي إلى إخماد التعبير الحر 800 من بين المحترفين في وسائل الإعلام. ولم تتمّ المحاكمة أمام القضاء إلّا بنسبة اغتيال واحد من عشرة. هذا الإفلات من العقاب غير مقبول، ومن شأنه أن يغذي تيار العنف في المستقبل. لذلك، فإن اليونسكو تلتزم، بكل ما أوتيت من قوّة، بوضع حدّ له، وفي كافة القارّات، باعتباره الشرط الضروري لإقامة مجتمعات سلمية، تُقدّر متانة بنيتها بقدر حسن اطّلاعها على المعلومات.

وفي عصر «ما بعد الحقيقة»، يزداد دور اليونسكو أهمّية، أكثر من أي وقت مضى. ويُمثّل هذا العدد الجديد من *الرسالة* فرصة جيّدة للتأكيد على التزامنا التأسيسي لمساندة الإعلام والاتصال بهدف بناء السلم في عقول الرجال والنساء.

إيرينا بوكوفا
المديرة العامة لليونسكو

المحتويات

27-6

زاوية كبرى

تطهير وسائل الإعلام من التلوّث

7 **أخلاقيات مهنة الصحافة تعود إلى الواجهة**
آيدن وايت

10 **الأخبار الزّائفة : ما رأي الصحفيين ؟**

12 **تنمية الفكر النقدي ضد الأخبار «الزّائفة»**
ديفينا فراو-مايجس

16 **مواجهة بين *أفتنبوستن* و*فيسبوك* : الجدال المنير**
مارينا يالويان، مع أجيل هانسن ورتشارد آلن

20 **مراهنة ناجحة لتلفزة على الخط**
أندريوس تابيناس

22 **منارة بفضل النّات**
كارلوس دادا

24 **الصحافة الإستقصائية : الكشف عن الحقيقة رغم كلّ الصعاب**
سانيتا جمبرغا

35-28

زوم

«وجهي، أرضي»
كاترينا ماركيلوفا
وأيدانتيتيس بروجاكت

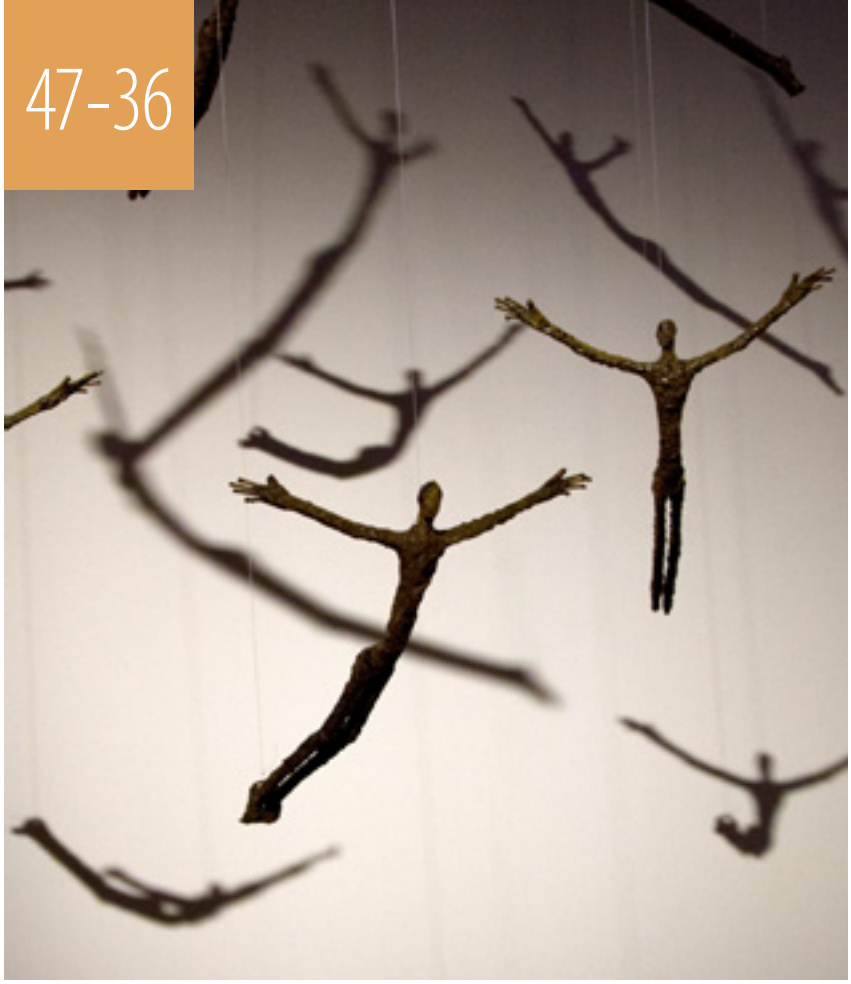

أفكار

37 **الإنسانوية أو السّبيل إلى إخماد التعطّش إلى الإنسانية**
آدما ساماسيكو

42 **العلوم الإنسانية : أهميّة قصص السكّان الأصليين**
جون بيواجي

46 **الشاعر في قلب المدينة**
تانيلا بوني

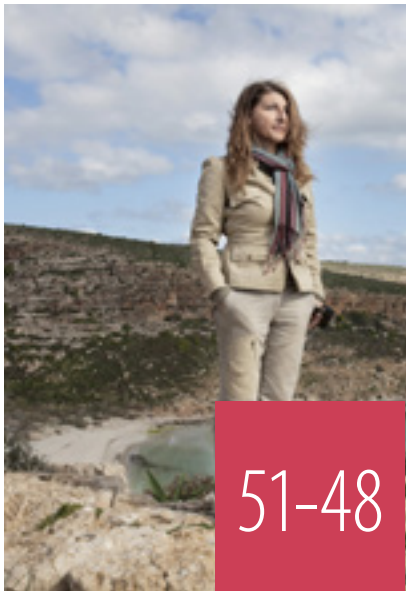

ضيفتنا

جيوسيبينا نيكوليني :
« *الإستقبال ميزة طبيعية لكلّ جزيرة* »
أجرت الحوار مارينا فورتي

الأحداث

53 **داويت إسحاق : سجينٌ جريمتُه حرّية الرأي**
ناتالي روتشيلد

56 **هل يجب إعادة بناء التراث ؟**
كريستينا كامرون

60 **السن المبكّرة، مفتاح التعلّم**
هيلان أبادزي

64 **تيسير التعلّم بفضل تقاسم حرّ وشرعي**
كايبل غرين

أخبار

68 **الكلمة للشباب**

70 **إنطلاقة جديدة لرسالة اليونسكو !**

71 **معرض**

زاوية كبرى

تطهير وسائل الإعلام من التلوّث

© Lukiyanova Natalia / frenta / Shutterstock

أخلاقيات مهنة الصحافة تعود إلى الواجهة

آيدن وايت

إذا فقدت الصحافة مبادئها الأخلاقية، فتكون قد فقدت قِيمها، ومصداقيّتها وسبب وجودها. كيف يمكن وقايتها إذًا ؟ إن تعديل الأخلاقيات المهنية للصحافة بسنّ القوانين قد تؤدّي إلى التعرّض لمخاطر الرقابة. ويبقى الإلتزام التطوّعي بالمبادئ الأخلاقية السبيل الأفضل لتستعيد الصحافة مكانتها.

يعتبر آيدن وايت أنّ « عمالقة التكنولوجيا، مثل غوغل، وفيسبوك، وأمازون، أو تويتر، يبثّون أخبارًا في محيط غابت فيه كلّ القيم ».

تسير الصحافة قدما وفي حركة دائبة لم يسبق لها مثيل. ففي يومنا هذا، أصبح الصحفي يعمل بوتائر أسرع وتحت ضغط مستمر وفي جوّ معقّد. وفي مخاض هذه المسيرة العسيرة، تعلمت وسائل الإعلام كيف أنّ الثورة الإعلامية، مع كل صفاتها التحرريّة، هي في نهاية المطاف سلاح ذو حدين.

وفي حين أنّه أصبح بإمكان وسائل الإعلام نشر مقالاتها في جميع أنحاء العالم في بضعة ثوان، كما أصبح بإمكان وسائل الإتصال بناء مجتمعات أقوى وأكثر استنارة وأكثر اندماجا، إلّا أنّ الأنماط الإقتصادية التي كانت تؤمن تمويل الصحافة في الماضي أضحت معطّلة، وفي كثير من الأحيان غير قابلة للإصلاح.

ومع تقلص موارد تمويل الصحافة التي تخدم المصلحة العامّة، أصبحت قاعات التحرير تعاني الصعاب للحفاظ على قاعدتها الأخلاقية. كما تضخمت، الى حدّ بعيد، كل المشاكل التي كانت تشغلها دوما مثل التحيّز السياسي، وتسلّط المؤسسات غير المشروع، والقوالب النمطية وتضارب المصالح.

شهدت الصحافة الإخبارية في السنوات الخمس عشرة الماضية تدهورا كبيرا حيث أنّ التكنولوجيا قد غيّرت من طرق التواصل بين الناس وطريقة عمل وسائل الإعلام. واليوم، يحصل معظمنا على الأخبار من خلال الهواتف النقالة ومن المنصات الإلكترونية التي نمت بكثرة باستغلال البيانات الشخصية لمستخدمي الإنترنت، وبالحوز على الإعلانات المربحة التي كانت تنتفع منها وسائل الإعلام التقليدية.

صدى عالمي

أُغلقت الآلاف من وسائل الإعلام أبوابها (الصحف أساسا). كما فَقد عشرات الآلاف من الصحفيين وظائفهم. وبتقلّص مصادر الأخبار التقليدية، خاصة على المستوى المحلي والجهوي، قلّت المسالك للوصول الى الاخبار الموثوقة، بالرغم من أنّ مساحة حرّية التعبير قد توسعت بشكل كبير.

تمّ إنشاء شبكة الصحافة الأخلاقية منذ خمس سنوات، بهدف تعزيز الصحافة في مواجهة هذه الأزمة.

وبوصفها ائتلافا يضم أكثر من ستين مجموعة من الصحافيين والمحررين وأصحاب الصحف ومجموعات الدعم الإعلامي، تشجع الشبكة على التدريب والقيام بالإجراءات العملية لتعزيز الأخلاقيات والحوكمة. وقد تردّد صدى نشاط هذه الشبكة إيجابيا لدى الصحافيين في جميع أنحاء العالم، سواء في ما يتعلق بتطوير نماذج اختبارية للصحفيين للكشف عن خطاب الكراهية، أو وضع مبادئ توجيهية بشأن تغطية النزاعات، أو إعداد التقارير حول موضوع الهجرة.

وبما أن جذورها مزروعة في وسائل الإعلام، فإنّ تقارير شبكة الصحافة الأخلاقية التي تغطي عدة بلدان تحظى بالمصداقية لدى الاعلاميين، بما في ذلك التقارير التي ترفع الغطاء عن الممارسات الصحفية المخفية أو تلك المتعلقة بتحديات التعديل الذاتي.

وقد بينت عمليات سبر الآراء التي أجرتها الشبكة في هذه الفترة المتقلّبة، أنه بالرغم من المناخ الإقتصادي والسياسي المعادي، فإنّ الصحافيين في كل مكان – من تركيا، وسوريا ومصر إلى الباكستان، والصين وأندونيسيا – ملتزمون بالكشف عن الحقيقة وبأخلاقيات المهنة.

بناء الثّقة مع الجمهور

إن هذا الإلتزام بالمعايير الأخلاقية هو بمثابة "الضمانة الذهبية"، في عهد التحولات الاجتماعية التي ألقت بالمنظومة العالمية للاتصالات في مرحلة إنتقالية فوضوية. وبالنسبة للعاملين في وسائل الإعلام ولأيّ شخص يسعى للحصول على وسائل اتصال موثوقة وآمنة، في المستقبل، أصبح الدفاع عن الصحافة الأخلاقية وتعزيزها أكثر ضرورة من أي وقت مضى.

وبفعل الأخبار الزّائفة والدعاية السياسية والمؤسسية إضافة إلى الإنتهاكات الوقحة المتداولة عبر الإنترنت، أصبحت أسس الديمقراطية مهدّدة وفُتحت خطوط أمامية جديدة للمدافعين عن حرية التعبير والمسؤولين السياسيين والإعلاميين. وعلى نطاق أوسع، أدى هذا المزيج السام من التكنولوجيا الرقمية، وغياب الضمير السياسي والإستغلال التجاري لمشهد الاتصالات الجديد إلى زعزعة منظومة الإعلام الجماهيري وإنهاكها.

وبما أن شبكة الصحافة الأخلاقية على وعي بهذا الوضع، فقد شجعت على فتح باب جديد للنقاش حول الحاجة إلى إدراك دور الصحافة المقيدة بإطار المعايير الأخلاقية، كضرورة لكسب ثقة الجمهور.

لكن ليس هناك حماس واسع النطاق لوضع ميثاق شرف مهني جديد. وتظل تلك القيم الأساسية – مثل الدقة والإستقلالية والمعالجة المسؤولة للخبر – التي تطورت على مدى الـ 150 سنة الماضية، قيما ثابتة وعلى نفس الأهميّة، حتى في هذا العصر الذي تطغى عليه الرقمنة.

والمطلوب حسب ما تراه شبكة الصحافة الأخلاقية، هو تأسيس شراكة جديدة مع جمهور وسائل الإعلام وصناع السياسة لإقناعهم بضرورة تعزيز الصحافة الأخلاقية، وبإمكانية استخدامها كمصدر إلهام لوضع برامج جديدة للتربية على وسائل الاتصال والإعلام.

مبادئ أساسية

واليوم، ليس الإلتزام بمراقبة أسلوب التعبير واحترام الحقائق حكرا على الصحفيين، بل يتحتّم على كل من لديه ما يقوله على ساحة الاعلام العامة أن يتشبث بالمعايير الأخلاقية.

وتعتبر شبكة الصحافة الأخلاقية أن القيم المهنية للصحافة – كالتمسّك بالحقائق، والروح الإنسانية واحترام الآخرين والشفافية والإقرار بالأخطاء – هي مبادئ أساسية ينبغي أن يقتاد بها الجميع، بما في ذلك مستخدمي الوسائط الإجتماعية والصحفيين المدنيين. لكن هذا السلوك لا بد أن يكون طوعيا وناتجا عن قناعة وليس بإملاء القانون.

ويبقى أن بعض الحكومات، بما في ذلك البلدان الديمقراطية، أصبحت في قلق أمام التجاوزات التي تحصل على شبكة الإنترنت وما يُبث من أخبار زائفة، فأخذت بإنذار شركات الخدمات التكنولوجية بتسليط عقوبات مالية عليها إن لم تقم بالإجراءات اللازمة لسحب المعلومات الضارة والخطيرة من مواقعها. إلا أن في ذلك احتمال للحدّ من حريّة الرأي والتعبير، وهو ما نخشاه، إلا إذا قررت هذه الشركات دعم القواعد الأخلاقية للاتصال، وبصفة جدية.

المشكلة تكمن في أنّ شركات التكنولوجيا العملاقة التي تهيمن على ساحة الإعلام الجماهيري، مثل غوغل، وفيسبوك، وآمازون، وتويتر، تقوم بترويج المعلومات في جوّ خال تماما من القيم. فهي لا تعير أية أولويّة للمعلومات باعتبارها مصلحة عامة كما هي الحال مع الصحافة المهنية. ولا تميّز هذه الشركات في سياستها التسويقية، بين الانتاج الصحفي وغيره من المعلومات حتى لو كانت ضارة وفاسدة.

فخ الخوارزميات

استخدام الخوارزميات المتطورة وبنوك بيانات لا حدود لها، مفتوحة لملايين المشتركين، هي مكونات هذا النموذج التجاري الذي يرمي إلى هدف بسيط، ألا وهو تشجيع «المعلومات الفيروسية» التي توفر نقرات كافية لدفع الإعلانات الرقمية. ولا يهم ما إذا كانت المعلومات أخلاقية، موثوقة أو صادقة ؛ المهم هو أن تكون مثيرة، واستفزازية، ومحفزة بما فيه الكفاية لجذب انتباه الزبائن.

ومهما كانت درجة رقي الآلات الروبوطية الرقمية، فهي غير قابلة للتجهيز برموز ذات بعد أخلاقي أو معنوي. ويبقى البشر الحساس هو الوحيد القادر على تناول المسائل الأخلاقية : الصحفيين والمحررين ذوي الخبرة والكفاءة من حيث التكوين والإلمام بالمعلومات والإحساس بالمسؤولية.

حصلت في الفترة الأخيرة سلسلة من الفضائح، منها الغضب من فرض الرقابة على الصور الشهيرة، والبث المستمر لمشاهد التعذيب والقتل، والشكاوى التي رفعتها الشركات الكبرى اثر نشر إعلاناتها على مواقع الدعوة الى الإرهاب والكراهية والاعتداء الجنسي على الأطفال. وعلى إثرها، وعدت شركات التكنولوجيا باتخاذ الإجراءات. ولكن هل سيكون ذلك كافيا؟

في 3 مايو 2017، وعد رئيس شركة فيسبوك مارك زوكربارغ بتوظيف 3000 من مراجعي المحتوى (بالإضافة إلى الفريق المكلف بعمليات المجتمعات المحلية الذي يبلغ قوامه 4500 شخص)، وذلك بعد موجة الإحتجاجات التي أثارها بث عدد هائل من مقاطع الفيديو فيها تقتيل وانتحارات واغتصابات جماعية.

وبما أن فيسبوك يعدّ ملياري مشترك، فهذا يعني أن هناك مراجع واحد لكل 250.000 مستخدم. إن ذلك لا يمثّل إلاّ جزءا بسيطا ممّا يستوجب توفيره لمتابعة ومراقبة تفاقم المحتويات غير الأخلاقية والمنتهِكة للأعراض ومواجهة أخطار الدعاية والأخبار الزّائفة.

الديمقراطية مهدّدة

هناك حل بسيط يكمن في قبول شركات التكنولوجيا تقمص دور الناشر في هذا العصر الرقمي، والإستفادة من العدد الهائل من الصحفيين الأكفاء والملمين بالأخلاقيات المهنية، الذين شردتهم ثورة المعلومات. نحن نعلم أن هذه الشركات بإمكانها تحمّل التكلفة. ففي أوائل عام 2017، قدر السعر التجاري لفيسبوك بحوالي 400 مليار دولار أمريكي، أما سعر غوغل فقد فاق 600 مليار دولار أمريكي. وهي من أغنى الشركات في العالم.

وفي الوقت الذي يكتفي فيه السياسيون وأرباب المؤسسات التكنولوجية الكبرى بالتباكي والتذمر من هذا الوضع، دون أن يأخذوا أي إجراء فعلي، نلاحظ تزايدا في عدد السياسيين عديمي الضمير الذين يستخدمون التكنولوجيا لتقويض الديمقراطية والتدخل في المسارات الانتخابية. وما الأخبار الزّائفة المليئة بالكذب إلا جزءا من هذه الإستراتيجية.

وقد ندد العالم والأكاديمي البريطاني مخترع شبكة إنترنت العالمية، تيم بيرنرز-لي، بهذا الإنحراف حيث حذّر من وقوع عالم الإنترنت تدريجيا تحت هيمنة الحكومات والشركات الرقمية ومن اختناق الإنترنت من جراء استغلال المعطيات الشخصية.

@nickgentryart (www.nickgentry.com)

في اعتبار آيدن وايت « مهما كانت درجة رقيّ الآلات الروبوطية الرقمية، فهي غير قابلة للتجهيز برموز ذات بعد أخلاقي أو معنوي ». « بروفايل عدد 13 »، انجاز الفنان البريطاني نيك جنتري.

كما أكّد تيم برنرز-لي بإلحاح على الخطر الوخيم الذي يشكله تسويق المعلومات الكاذبة على السياسة.

وفي رسالة مفتوحة نشرها في 12 مارس 2017، بمناسبة الذكرى 28 لإنشاء شبكة الإنترنت، كتب بيرنرز-لي عن انتخابات عام 2016 في الولايات المتحدة الأمريكية: « *تم تقديم ما لا يقل عن 50.000 نوع من الإعلانات يوميا على فيسبوك بحيث أصبح من المستحيل تقريبا رصد ما يحدث. وهناك إيحاءات بأن بعض الإعلانات السياسية، في الولايات المتحدة وحول العالم، تم استخدامها بطرق لا أخلاقية لتوجيه الناخبين إلى مواقع الأخبار الزّائفة، على سبيل المثال، أو للحث على هجر صناديق الإقتراع ... فهل هذا سلوك ديمقراطي ؟* »

كشف الأخبار الزّائفة

هذا سؤال جيّد، وقد تمّ طرحه أيضا في فرنسا قبيل الإنتخابات الرئاسية الفرنسية في مايو 2017، عندما غمر قراصنة الإعلامية شبكة الإنترنت بآلاف الملفات السرية تمّ نهبها من مواقع البريد الإلكتروني، وكثير منها زائف، تخص المرشح إيمانويل ماكرون، الذي فاز في نهاية المطاف.

ولم يتمكن الصحفيون من فحص هذا الجبل المعلوماتي أو التحقق منه أو تكذيبه، لأنّ القانون الفرنسي يحجّر الإدلاء بأي تصريح له علاقة بالإنتخابات، في الساعات الأخيرة التي تسبق عملية التصويت. لكنها نشرت بكل حرية عبر الوسائط الإجتماعية.

وإذا حصل أن تسرّع يوما أحد الصحفيين في نشر خبر ما، فإن الصحافة التي تحترم القيم الأخلاقية تقرّ دوما بأخطائها. ولأنها تعتمد على حقائق الواقع وتؤمن بالمصلحة العامة، فهي توفر للسياسيين خارطة طريق لبناء فضاء إعلامي عام آمن وموثوق به.

آيدن وايت (المملكة المتحدة)، هو مدير شبكة الصحافة الأخلاقية، ومؤلف كتاب «حتى أصارحكم بالحقيقة : مبادرة الصحافة الأخلاقية»، وهو استعراض على الصعيد العالمي للقضايا المتعلقة بأخلاقيات المهنة الصحفية (2008). شغل منصب أمين عام الإتحاد الدولي للصحفيين على مدى 24 عاما حتى مارس 2011. وهو مؤسس المعهد الدولي للسلامة الإخبارية ومؤسس «آيفكس» (تبادل حرية التعبير الدولية).

الأخبار الزّائفة

ما رأي الصحفيين؟

التضليل الإعلامي ليس ظاهرة جديدة. الجديد في الأمر هو توسيع مدى انتشار المعلومات المغلوطة والأخبار الزّائفة وسرعته، بفضل وسائل الإعلام الرقمية. وأمام هذا الأمر الواقع، يتحتم على الصحفيين والمؤسسّات الإخباريّة الموثوقة أن تعيد النظر في طرق عملها وأن تقاوم هذه الظاهرة. فما هو رأي الصحفيين في ذلك؟ طرحنا السؤال على البعض منهم، من السويد إلى إفريقيا الجنوبية.

آيدن وايت

مدير، شبكة الصحافة الأخلاقيّة

في جميع أنحاء العالم، تتضاعف علامات التدخل غير المشروع في المسارات الديمقراطية. وهذا من شأنه أن يجعل النقاش حول كيفية مقاومة الأخبار الزّائفة يشتد حدّة. لكن سوء الفهم السائد حول الظاهرة، وأصولها ومخاطرها قد يضفي نوعا من الضبابية على هذا النقاش.

وفي محاولة لتوضيح المشكلة، وضعت شبكة الصحافة الأخلاقية التعريف التالي لمصطلح الخبر الزّائف: «*خبر مُختلق عمدا يتم نشره بقصد خداع طرف آخر وحثّه على تصديق الأكاذيب أو التشكيك في الحقائق التي يمكن إثباتها*». وهذا التعريف من شأنه أن يساعد على الفصل بين الدعاية، والحقائق البديلة، والأكاذيب الخبيثة.

فيراشني بيلاي

رئيسة تحرير، *هافنغتن بوست*، جنوب أفريقيا

تُسمّم الأخبار الزّائفة الأجواء التي نعمل فيها جميعا. لقد تسببت في فقدان الجمهور ثقته بكل الأخبار المتداولة، كما أضرّت بالعلاقة القائمة بين وسائل الإعلام وجمهورها.

كاري هوهتا

مختص في الشؤون الدبلوماسيّة، *هلسنكي سانومات*، فنلندا

قد نسرع في مبالغة مدى تأثير الأخبار الزّائفة على الصحافة. لا أريد معالجة هذه المسألة بصفة غير جدية، لأنها تشكّل تحدّيا هاما بالنسبة للمجتمع وللمؤسّسات. علينا أن نستوعب أن الهدف من وراء الأخبار الزّائفة ليس رواية الأحداث بصفة مختلفة، بل هدفها الرئيسي هو زعزعة مصداقيّة المؤسّسات، بما في ذلك الصحافة.

ايفور غايير

أستاذ في الصحافة، جامعة سوسيكس، المملكة المتحدة

التضليل الإعلامي ظاهرة قديمة ودائما موجودة، منذ أن أدرك الناس قوّة الإعلام للتأثير على الرأي العام. ما هو جديد ومثير للقلق، هو توسيع مدى انتشاره وسرعته الفائقة، بفضل وسائط الإعلام الإجتماعية والمنصّات الإلكترونية مثل غوغل وفيسبوك.

من انعكاسات ظاهرة الأخبار الزّائفة على الصحافة أنها تضعها أمام تحدّ حقيقي، يتمثل في القدرة على التمييز بين الصواب والخطأ، ولكنها في ذات الوقت، تضفي على دور الصحافي أهميّة أكبر. ويبقى الصحافي الطرف الأكثر قدرة على شجب الأخبار الزّائفة، شريطة أن يكون صحافيا مسؤولا. ويبدو لي أنه على المدى القريب، سوف تبقى الأخبار الزّائفة مشكلة حساسة بالنسبة للصحفيين، أما على مدى أبعد، فسوف تضفي على دور الصحفي مصداقيّة تمنحه أهميّة متزايدة في المجتمع.

ريكاردو غندور

مدير وحدة الصحافة، شبكة الاذاعة البرازيلية، البرازيل

إن ظاهرة الأخبار الزّائفة تعيد التأكيد على المهمّة التقليديّة للصحافة ألا وهي محاولة إنارة المجتمع والجمهور. ولا بدّ لنا من تعزيز هذا الجانب الأساسي لمهمّتنا والمتمثل في توضيح المسائل المطروحة للنقاش وكشف الوقائع الحقيقية.

أكاذيب على شبكات التّواصل الإجتماعي.

جينا ليندبرغ

مديرة وحدة الأخبار الخارجية، الاذاعة والتلفزة السويدية، السويد

هذا الجدل حول الأخبار الزّائفة قد يؤثر سلبيا على جمهور وسائل الإعلام ومن شأنه أن يغذي الشكوك التي تراوده حول صحة الأخبار من عدمها. وبصفتنا صحفيين محترفين، علينا العودة إلى أفضل ما باستطاعتنا إنجازه : التحقق من صحّة الوقائع، والمطالبة بالإجابة عن الأسئلة التي نطرحها، وضمان شفافية أساليبنا في الحصول على الأخبار.

كاتارينا كارفالو

رئيسة التحرير، *غلوبل ميديا غروب*، البرتغال

الأخبار الزّائفة ليست نوعا من الصحافة. ربما ينبغي علينا التفكير [نحن الذين نمثل وسائل الإعلام التقليدية] في ما فعلناه بالصحافة حتى تصبح الأخبار الزّائفة مقبولة ومنتشرة بهذا القدر من السهولة. يجب علينا فحص ضمائرنا لنتساءل إن كنا نقوم باللازم، وإن كان سلوكنا سليم، وإن كنا ملتزمين حقا بالصحافة الأخلاقيّة، حتى نساهم في وضع حد لنفوذ الأخبار الزّائفة وانتشارها.

ماريا ريسا

المديرة العامة وعضوة مؤسِّسة لشبكة *رابلر*، الفلبين

قامت شبكة *رابلر*، وهي شبكة وسائل اعلام اجتماعيّة ملتزمة بوضع تقارير استقصائيّة، برصد ما لا يقل عن 300 موقع على الإنترنت تنشر أخبارا زائفة في الفلبين. كما وجهت اهتمامها إلى تزايد عدد الحسابات المشبوهة على الفيسبوك التي نشرت أخبارا زائفة في صفحات الحملة الانتخابيّة في مايو 2016.

استغرق التحقيق نحو ثلاثة أشهر. قمنا بفحص دقيق لكل المعطيات المتعلقة بهذه الحسابات للتثبت من صفتها التضليلية. واكتشفنا أن "جُحرا" متكونا من 26 حسابا مزوّرا تمكّن من التأثير على ما يناهز ثلاثة ملايين صفحة على الفيسبوك. ونحن نعلم أيضا أنّه منذ نوفمبر 2016 في الفلبين، يمكن توظيف حوالي 50 ألف حساب فيسبوك في حملات لسياسيين أو أفراد، سواء كانت لصالحهم أو ضدّهم. وارتبط حساب مزوّر آخر بأكثر من 990 ألف عضو من الجماعات الداعمة لزعيم سياسي واحد، وحساب ثالث مرتبط بنحو 3،8 مليون عضو ينتمون إلى منظمات المهاجرين الفلبينيين في الخارج وإلى كتل تجارية.

مع حوالي 54 مليون مستخدم على الفيسبوك في الفلبين، تمثّل وسائط الإعلام الاجتماعية سلاحا رهيبا لإسكات المعارضة والتلاعب بالرأي العام. وقد استُهدِفت شبكة *رابلر* بهجمات عديدة عبر الإنترنت، منها آتية من حسابات فيسبوك أنشئت خصيصا لمضايقة مساهمينا ومراسلينا.

وهذا من شأنه أن يجعلنا أكثر تصميما على كشف الأكاذيب ومنع انتشارها.

تنمية
الفكر النقدي
ضد الأخبار «الزّائفة»

ديفينا فراو-مايجس

بعد التصفّح الخفيف والثرثرة والتّحاور السطحي على الإنترنت، أفضى التحول الرقمي للمشهد الإعلامي إلى إمكانية استخراج المعطيات بهدف المناورة والتضليل، وهذا من شأنه أن يؤكّد الأهمية المتزايدة للتربية في مجال وسائل الإتّصال والإعلام، تربية لا بد لها أن تعيد التفكير في وسائل الإعلام وفي الأسس السياسية والأخلاقية التي تُكسبها شرعيتها.

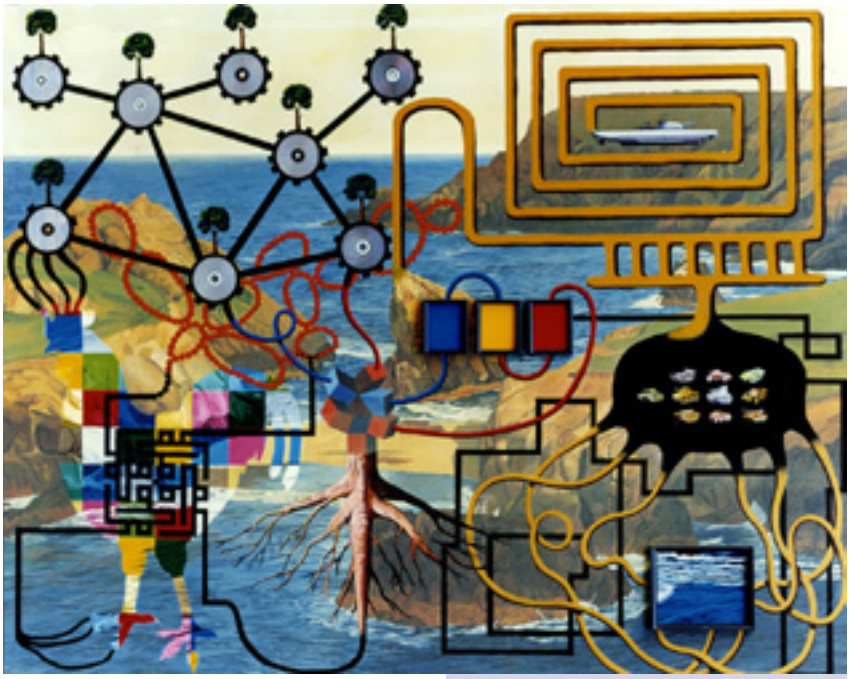

© Oscar Seco

«الجزيرة ذات اللّغز المُضاعف» من سلسلة «متاهة وأوهام» للرسام الإسباني أوسكار سوكو.

في الوقت الذي تتعرّض فيه وسائل الإعلام إلى تهديدات من كل الجهات، مهما كانت طبيعة الأنظمة، ديمقراطية كانت أم غير ديمقراطية، كثيرا ما يقع الإلتجاء هذه الأيام إلى التربية على وسائل الإتّصال والإعلام. انطلقت إشارة الإنذار من فرنسا في 7 يناير 2015، إثر الإعتداء على المجلة الفرنسية الهزلية *شارلي هبدو* وهو هجوم استهدف التصوير الهزلي، أحد أقدم أشكال الإعلام في العالم.

كنت، آنذاك، مديرة لمركز التربية على وسائل الاتصال والإعلام. وغداة الإعتداء، كان علينا إعداد التلاميذ للعودة إلى المدارس والإستجابة لانتظارات المدرسين والأولياء. انتهجنا الطرق المستعملة عند حدوث الكوارث الكبرى، ووجدنا في وثائقنا المذكرات البيداغوجية حول التصوير الهزلي والدعاية ونشرنا عبر الإنترنت عددا من الموارد الإعلامية (مواقع الإنترنت المرجعية، أقوال وسائل الإعلام ومجموعة من واجهات الصحف)، كما نشرنا مقابلة مع الصحفي الهزلي شارب تحمل عنوان *هل يمكن أن نضحك من كلّ شيء ؟*، كان أجراها معه مركزنا سنة 2014. وهو الصحافي والمصور الذي اغتيل أثناء الإعتداء، واسمه الحقيقي ستيفان شاربونيي.

وقد أظهرت تلك الأزمة إيجابيات التربية على وسائل الاتصال والإعلام، ولكنها أظهرت أيضا حدودها. كنا على أتم الإستعداد لرد الفعل في ما يتعلق بالموارد، لكننا لم نكن لِنتوقّع تأثير وسائط الإعلام الإجتماعية.

وكما حصل بالنسبة لوسائل الإعلام قبل الرقمنة، فإن على التربية على وسائل الاتصال والإعلام أن تستفيق لتأخذ بعين الإعتبار ما تحدثه الرقمنة من تغيير جوهري في وسائل الإعلام: باستعمال التكنولوجيا الرقمية، يتم تعديل الخوارزميات للزج في واجهة الموقع بمعلومات تستغل آثار التدخلات السابقة للأشخاص، ويتم انتقاء هذه المعلومات لحصرها في فضاء معيّن، لتصبح بمثابة أفكار مُسبقة لا مفر منها، وفي ذلك اجتياح للحياة الخاصة، وحدّ لتنوع الأفكار وتعددها وتهديد للحريات الأساسية.

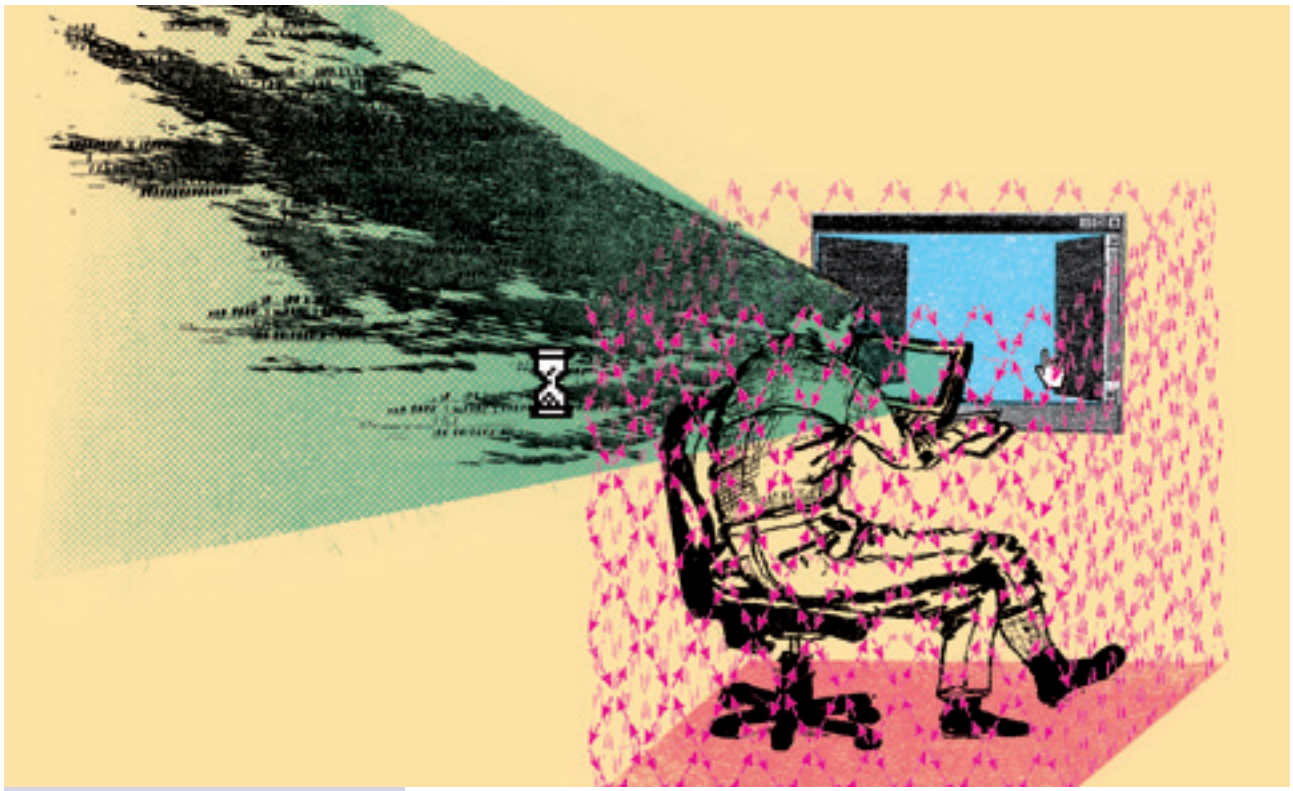

© Patric Sandri

وقد اهتزّ قطاع التربية على وسائل الاتصال والإعلام من جراء الأزمات الأخيرة التي أحدثتها ظاهرة *الأخبار الزّائفة* ذلك الخليط من الإشاعة والدعاية والتآمر. هي ظاهرة أكثر خطورة من *الأخبار الخاطئة* التي يبقى فيها التمييز بين الحقيقة والكذب ممكنا. فالأخبار الزّائفة هي نوع من إعلام التضليل، إلا أنها تكرس بشكل غير مسبوق الإضرار المتعمد، لأن التكنولوجيا الرقمية تسمح لها باجتياز الحدود واكتساح كل الوسائط الإعلامية، فتنتشر بالتالي بصفة *فيروسية*، أي بمثابة العدوى.

ولا بد أن يأخذ هذا القطاع من التربية في الاعتبار التحول الرقمي، الذي انتقل من »القارة الزرقاء« إلى »القارة السوداء«: أي من التّصفح الخفيف والثرثرة والتحاور السطحي عبر الإنترنت بواسطة منصّات مُراقَبة من قبل »غافام« (غوغل، آبل، فيسبوك، أمازون، ميكروسوفت)، إلى مناجم سامّة لاستخراج المعطيات بغاية المناورة وزعزعة الإستقرار بصفة مُكثّفة.

ولذلك فإن فهم رموز الدعاية على الإنترنت عملية مُعقّدة، إذ يتعلّق الأمر بفك تشفير شكل من أشكال الإيديولوجيات التخريبية. ومن المفارقة أن يكون هذا الشكل مبتكرا تقنيا، ويُروّج في الآن نفسه لثورة دولية محافظة مُسخّرة لخلق الفوضى في الأنظمة السياسية القائمة، بدل اقتراح نظام فكر سياسي تقدّمي.

عودة النّميمة

لا بد إذا للمربين من إعادة التفكير في وسائل الإعلام والأسس السياسية والأخلاقية التي تكسبها شرعيتها، وكذلك في دور وسائط الإعلام الاجتماعية ومضامينها، مع الأخذ في الاعتبار تزايد عدد المستخدمين الذين تحوّلوا من مُتحاورين إلى تجمّعات تشاركية تتقاسم التأويلات. إن عودة مستخدمي الوسائط الاجتماعية للتّعليقات النّميمية ليست بالأمر المستهان ولا ينبغي الإكتفاء باحتقار هذه الظاهرة. لأن هذا التحاور بصوت خافت يروج بدون تمييز الأحاديث الكاذبة والإشاعات، ويغذي النميمة ويشهر للعامة ما كان يندرج بحتا في الحقل الخاص. فيصبح الخبر المتداول موثوق به أكثر من الحقيقة نفسها، فيما تتحول الحقيقة إلى صنيعة نخب بعيدة عن المشاغل اليومية والمحلّية.

تُروّج إذا وسائط الإعلام الاجتماعية أخبارا غير مُؤكّدة، مدعية أن الأخبار الكاذبة إنما تؤول في النهاية إلى بلورة الحقيقة. وقد نتصور أن هذه الطريقة تساعد على الوصول الى أبعد مما نعتبره عموما "الحقيقة". لكن في ذلك تقليص من مسؤوليتها وتبرير لمحاولتها الترويج لحقيقة مغايرة، خاصة وأن نظم الأخبار الموثوقة في حالة انهيار. ومن خلال هذا النوع من الإعلام، نسجل عودة الصحافة إلى المعركة الأزلية بين الحدث الموضوعي والتعليق.

تعتبر ديفينا فراو-مايجس أن فكّ رموز الدّعاية على النت عملية مُعقّدة وأن على الأجيال الجديدة أن تتعلّم بأن تتقمّص في ذات الوقت أدوار « المُستكشفين، والمحلّلين والمبتكرين ».

ففي علوم الإعلام والاتصال، تُعتبر الثرثرة ضربا من العلاقات الإجتماعية. فهي تُؤدّي وظائف معرفية أساسية منها مراقبة المحيط، وتقاسم الأخبار للمساعدة على اتخاذ القرار وخلق نوع من التناسق بين وضعيّة مُعيّنة وقيم المجموعة... وقد ساهم ذلك في الإعتراف لوسائل الإعلام بأهمية مشروعة. إلا أن هذه الوسائل أصبحت تُعتبر اليوم عاجزة ومُشوّهة، ومن الأدلة على ذلك حلول الوسائط الاجتماعية بديلا لها وتفشي الثرثرة النّميمية عبر الإنترنت. والذنب ليس ذنب وسائط الإعلام الاجتماعية بقدر ما هو ذنب المسؤولين عن الحوار العمومي على أرض الواقع.

في العديد من أنحاء العالم، عندما تكون الساحة السياسية قليلة الإستقرار، تستعيد القصة الاجتماعية دورها التعديلي ومكانتها بفضل وسائط الإعلام الاجتماعية، كما تُسلّط هذه الوسائط الضوء على تجاوزات القواعد الاجتماعية، خاصّة عندما تتباهى المؤسسات السياسية بالشفافية، لأنه لم يعد مجال لِحماية الأسرار. وأمام الصحف الرّاضخة للأحزاب، فهي تخلخل قاعدة الموضوعية المتصلبة التي تفرض تقديم النظرة الموافقة والنظرة الرافضة، دون سواهما.

© Ryoji Ikeda / Photo Fernando Maquieira, avec l'aimable autorisation de l'*Espacio Fundación Telefónica*.

« داتا.باث » (2013)، عمل للفنان الياباني ريوجي إيكيدا، الذي يسعى من خلال تركيباته الفنية إلى جعل الشبكة الرقمية الخفيّة، التي تُؤثّر في حياتنا وتحدّدها، أكثر وضوحا وجلاء.

لقد أصبح الجمهور حذرا لمدى "مصداقية" هذا الخطاب الاستقطابي بل يميل إلى استراتيجية الوثوق بالأصل. هذه الاستراتيجية تربط علاقة قرب بين أعضاء مجموعة المشتركين وتسعى إلى تشريكهم في الحوارات، معتمدة مبدأ الشفافية. وبذلك تكون وسائط الإعلام الاجتماعية قد واجهت أخلاقيات الموضوعية بأخلاقيات الأصالة.

المستكشف والمحلّل والمُبتكر

تمثّل إذن ظاهرة وسائط الإعلام الإجتماعية وأخبارها الزّائفة نموذجا يستحق الدرس في قطاع التربية على وسائل الاتصال والإعلام، مما يتطلب تفعيل واحدة من اختصاصات القطاع الأساسية، ألا وهي استخدام الفكر النقدي، شريطة أن يكون مصحوبا بفهم القيمة المضافة التي تمنحها الرقمية : المشاركة والمساهمة والشفافية والمساءلة، ولكن أيضا التضليل والمناورة.

إن الفكر النقدي يمكن التدرّب عليه وتكوينه... حتى يصبح شكلا من أشكال مقاومة الدعاية والعقلية الإنقلابية. فلابدّ من تنمية حس المسؤولية لدى الشباب والعمل على أن يُعيدوا النظر في استعمالهم لوسائط الإعلام الاجتماعية وأن يأخذوا في الإعتبار الإنتقادات التي تُوجّه إليهم بخصوص ما يُمكن أن ينجرّ عن استعمالهم لها. ومن ناحية أخرى، يجب علينا أن نثق بحسهم الأخلاقي.

في الدرس الذي أُؤمّنه في التربية على وسائل الاتصال والإعلام، وهو تكوين عن بعد عبر الإنترنت مفتوح للجميع حاز على جائزة اليونسكو لسنة 2016 في هذا المجال، أقدّم للطلبة ثلاثة أدوار حسّاسة : المستكشف والمحلل والمُبتكر. المستكشف يتعوّد على وسائل الإعلام وعلى المعطيات. والمحلل يُطبق مفاهيم مثل التثبّت في المصادر، وتقاطع المعطيات، واحترام الحياة الخاصة. وأما المبتكر فهو يحاول تقديم انتاجه الخاص، ويتمعن في نتائج اختياراته، ويقرر صيغة النشر.

ومن نتائج هذا التكوين المفتوح للجميع بعث مشاريع مثل «المواطن الصحفي على تويتر» أو «هوكس بوستر لمقاومة التآمر». والهدف في كل الحالات، إكساب الشباب الحس النقدي حتى لا يسقطوا في فخ خطاب الكراهية أو الأخبار الزّائفة. وهناك مبادرات أخرى، البعض منها تسيّرها اليونسكو، قامت بتأسيس التجمع الشامل لشركاء التربية على وسائل الإتصال والإعلام. و«ميل كليكس» هي مبادرة حديثة العهد ترمي إلى التمكّن من هذه التربية باستخدام الوسائط الإجتماعية.

نشر التربية على وسائل الإتصال والإعلام على نطاق واسع

وعلى هذا القطاع التربوي أن يفعّل الفكر النقدي أيضا تجاه وسائل الإعلام ذاتها. فقد اتّضح أن المؤسسات الصحفية الكبرى هي من بين أكثر المُؤثّرين نفوذا وكثيرا ما تسعى إلى نشر الإشاعات قبل التأكد منها، على تويتر مثلا. والأخبار الزّائفة التي يتداولها الفيسبوك، وهو أكثر وسائط الإعلام الاجتماعية ترويجا لها، قد تستند إلى ما ينشره الصحفيون المحترفون قبل التثبّت من الخبر، بحثا عن السبق الصحفي، بحكم الضغوطات الكبيرة المُسلّطة عليهم. وهم بذلك يتصرفون على نفس منوال المستعملين الهواة الآخرين. والتكذيب ليس له نفس وقع الإشاعة!

ما زالت توجد تحديات أخرى تحول دون نشر التربية على وسائل الاتصال والإعلام على نطاق واسع. يجب إقناع أصحاب القرار. كما يجب تكوين المُكوّنين، سواء كانوا مُدرسين أو صحفيين. كنت أنجزت بحثا في جامعة الصربون الجديدة، في إطار برنامج *ترانزليت* التابع للوكالة الوطنية للبحث وكرسي اليونسكو «لنعرف كيف يجب أن نكون في عصر التنمية الرقمية المستدامة». ويحتوي هذا البحث على مقارنة بين السياسات العمومية في أوروبا. وقد بين وجود العديد من الموارد ومن الدورات التكوينية لكنها ناتجة عن مبادرات خاصّة للجمعيّات أو للمُدرّسين وليس عن المؤسسات الجامعية. كما سجل البحث قلة اهتمام في مستوى السياسات العمومية رغم إدراج هذه المادة في العديد من البرامج التربوية الوطنية : قلّة الآليّات المشتركة بين الوزارات المعنية، و قلة أو انعدام وجود هيئات للتعديل المشترك، والأمر كذلك في ما يتعلق بالتنسيق بين مختلف الفاعلين. وأدى البحث إلى الإستنتاج التالي : إن إدارة هذا القطاع التربوي مُركّبة من عناصر مشتّتة، مع وجود أربعة نماذج، حسب الدول : التنمية، التفويض، غياب الالتزام... والنموذج المختل.

إستيقاظة أخلاقية

والخبر المريح هو وعي الصحفيين الذين أخذوا بمراجعة أخلاقيات مهنتهم، وأصبحوا معترفين بأهمية التربية على وسائل الاتصال والإعلام. واستيقاظتهم الأخلاقية من شأنها أن تساعد المُدرّسين على إيلاء هذه المادة التربوية مكانة أرقى، وعلى إنتاج موارد صالحة للدفاع عن سلامة المعطيات ووسائل الإعلام. وبدأت تظهر بعض الأعمال الصحفية التي تُعيد الإعتبار للتحقيق المعمّق بفضل الإعتماد على الوسائل الرقمية، وهو أسلوب يمكن من الكشف عن أخبار ما كان ممكنا كشفها بطرق أخرى.

وقد ساهمت بعض القضايا، على غرار التسريب الهائل للوثائق السرّية المعروف باسم *وثائق بانما*، في استعادة الحياة السياسية شيئا من طابعها الأخلاقي وفي إعادة الثقة في المهنة الصحفية. كما توجد أعمال أخرى تعتمد الوسائل الرقمية، موجهة خصّيصا إلى مقاومة الأخبار الزّائفة. نذكر من بينها مدوّنة الوكالة الفرنسية للأنباء «*ميكنغ أف*، من خلف السّتار» (التي تُظهر كواليس وكالة إعلام كبرى)، وكذلك نظام التثبّت من المعلومة «*ديكوداكس*» لصحيفة *لوموند* الفرنسية (الذي يُحصي المواقع حسب درجة تزييف الأخبار فيها)، و«*ريفآي*» التابع لغوغل (الّذي يسمح بالتثبّت، بثلاث نقرات، من إذا كانت الصور أصلية)، وموقع سبايسي صاحب آلية «*كونسبيهانتر*» (للتنديد بالتآمر).

وحتى يتم التدرّب بشكل واف قصد تحقيق مواطَنة مُثقّفة، يجب تفعيل الفكر النقدي أيضا على مستوى التوزيع الجغرافي لوسائط الإعلام الإجتماعية وأبعادها الإقتصادية. وما نلاحظه أن المنصات الرقمية التابعة لمجموعة *غافام*، وجميعها منبثق عن القانون الكاليفورني، رفضت لمدة طويلة نعتها بوسائل الإعلام لتتجنب مسؤوليتها الإجتماعية ولتتخلّص من الواجبات العمومية المتصلة بها. لكن استعمالها للتعديل الخوارزمي أظهر قدرتها على مراقبة الخط التحريري للمحتويات التي ترى فيها إمكانية التوظيف المالي، دون أن تعتمد مبادئ الشفافية أو أخلاقيات المهنة، ومن ثم قدرتها على تقديم وجهة نظرها وكأنها الحقيقة. وعلينا ألا ننسى أن من يضع النُظم الخوارزمية هم من البشر!

إن منصات *غافام*، تلك الوسائل الإعلامية العملاقة، قد لعبت إلى حدّ الآن ورقة التعديل الذاتي : فهي تسن قواعدها الخاصة، وتقرر سحب المواقع أو الحسابات المتهمة بنشر الأخبار الزّائفة، دون أن تكون مجبرة على تبرير قرارها. لكنها، إن أرادت الحفاظ على ثقة المجموعات المستعملة لخدماتها، فسوف تكون مرغمة على اتباع سلوك مسؤول، يكمن في ايجاد الحل الوسط بين دور "ناقل المعلومات" و"الوصي العمومي". لأن مجموعات المستخدمين بإمكانها أيضا أن تنتظم، أو ربما أن تجتنبها، لتقوم بتعديل مشترك مع الصحفيين، كما هو الشأن مع نظام التثبّت من المعلومة (*ديكوداكس*).

وقد يكمن الحل في تصميم نظام خوارزمي جديد، يحمل في بنيته مبادئ أخلاقيات المهنة الصحفية والحريات الأساسية، ومثل هذا الحل هو دون شك من البدائل الممكنة في المستقبل، حسب المنطق الرقمي !

ديفينا فراو-مايجس (فرنسا) هي أستاذة في علوم الإعلام والاتصال بجامعة الصوربون الجديدة، وصاحبة كرسي اليونسكو «لنعرف كيف يجب أن نكون في عصر التنمية الرقمية المستدامة». ألفت حوالي عشرين كتابا، آخر ما صدر لها المؤلف الجماعي : *مقارنة بين السّياسات العمومية للدول الأوروبية في مجال التربية على وسائل الاتصال والإعلام*.

D. Frau-Meigs, I. Velez et J. Flores Michel (eds), Public Policies in Media and Information Literacy in Europe: Cross-Country Comparisons (London, Routledge, 2017).

مواجهة بين أفتنبوستن وفيسبوك: الجدال المنير

مارينا يالويان مع أسبن أجيل هانسن ورتشارد آلن

إن أهمّية دور وسائل الإعلام الاجتماعية في نشر الأخبار في تفاقم مستمر، وهذا من شأنه أن يبعث على الإنشغال لأسباب عديدة. أسبن أجيل هانسن من الصحيفة النرويجية اليومية *أفتنبوستن* ورتشارد آلن من فيسبوك ينتميان إلى عالمين مختلفين، لكنهما يُواجهان نفس التحدّيات.

© Photo Nick Ut. AP/NTB SCANPIX

تعلن صحيفة أفتنبوستن في صفحتها الأولى، عن الرّسالة المفتوحة التي وجّهها رئيس تحريرها أسبن أجيل هانسن إلى مارك زوكربارغ، مُؤسس فيسبوك (8 سبتمبر 2016).

صورة بالأبيض والأسود لفتاة التسع سنوات، عارية الجسم، تصرخ وهي فارة من القنابل وعلى وجهها علامات ألم شديد. هذه الصورة رمز للتصوير الفوتوغرافي للحروب. التقطها المصور الأمريكي-الفيتنامي نيك أوت سنة 1972 أثناء هجوم بالنابالم على قرية فيتنامية. هذه الصورة التي تحمل أسم «*نيي تيرور أوف وار*» (الرعب من الحرب) والتي أحرزت على جائزة بوليتزر، خلقت جدلا سنة 2016، عندما استُبعدت من فيسبوك بذريعة أن بها «محتوى غير مناسب».

«كتبت *إلى مارك زوكربارغ لأقول له إنني لن أمتثل إلى شروطه*»، هذا ما ذكره أسبن أجيل هانسن رئيس تحرير *أفتنبوستن* وهي أكبر الصحف اليومية النرويجية، الذي تقاسم الصورة على الفيسبوك ووجد نفسه مُهدّدا بالإقصاء النهائي من الشبكة. وفي الردّ العنيف الذي نشره في الصفحة الأولى لصحيفة *أفتنبوستن*، اتّهم هانسن فيسبوك بوضع قواعد «*لا تفرق بين صور الإستغلال الجنسي للأطفال وبين صور الحروب الشهيرة*»، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى «*فهذه القواعد لا تترك أي مجال*» للنقاش. وكانت هذه الرسالة، التي لاقت مساندة مُكثّفة، نقطة الإنطلاق لحوار حماسي حول قواعد الرقابة المُعقّدة لفيسبوك وحول طريقته في مراقبة المحتويات عبر فرز الأحداث بواسطة الخوارزميات.

يَعُدّ فيسبوك اليوم ملياري مُستعمل عبر العالم، ويجذب إلى مواقع وسائل الإعلام أكثر من غوغل، وقد أصبح بذلك فاعلا أساسيا في نشر الخبر، إلاّ أنه مصرّ على عدم الإعتراف بهذه المسؤولية معتبرا أنه مجرد «أرضية تقنية». ومع ذلك، يُمكن القول بأن فيسبوك أصبح أول موقع إعلامي ذي بعد عالمي، وهو ما يجعل من مارك زوكربارغ، كما جاء على لسان هانسن، «*أقوى رئيس تحرير في العالم*».

«*نكّرت زوكربارغ بأن صفته هذه تلزمه بالإرتباط بمسؤوليات معينة لأن الشركة التي يسيّرها ليست ذات صبغة تقنية بحتة، بل هي مؤسسة إعلامية أيضا*». هذا هو السبب الذي جعل أجيل هانسن يعتبر أن منع نشر صورة صحفية رمزية بحجة العراء ما هو إلا قرار سيّء من منظور السياسة التحريرية، مُذكّرا أن «*الصور المزعجة قد لا تحظى بالإعجاب، إنّما يبقى لها دور تحسيسي أساسي في مجتمعنا الديمقراطي*».

يقوم الملايين بنشر مضامين في الفيسبوك يوميّا، مما يجعل من عملية الإنتقاء حالة بحالة عسيرة جدا. ويدافع رتشارد آلن، نائب رئيس فيسبوك المكلف بالسياسات العمومية لمنطقة أوروبا والشرق الأوسط وإفريقيا، عن النظام الداخلي للشبكة الذي ينص على التبليغ عن أية صورة لطفل عاري الجسم يقلّ عمره عن 18 سنة، ممّا يؤدي إلى سحبها. لكنه يعترف بفشل هذه السياسة في ما يتعلق بصورة «الرعب من الحرب».

© Nick Ut / Sipa Press

وصمة المصوّر النرويجي إينجي غرودوم على الصورة التاريخية «ذي ترور أوف وار» (الرعب من الحرب)، للتنديد بعملية الحجب التي قام بها فيسبوك بتعلّة «محتوى غير مناسب». طفلة التسع سنوات، المعروفة باسم « فتاة النابالم »، هي كيم فوك فان تي، سفيرة اليونسكو للنوايا الحسنة منذ سنة 1994.

وخلال الندوة التي نظّمتها اليونسكو في مارس 2017 تحت عنوان «الصحافة تحت ضغط النقد»، دافع رتشارد آلن عن قدرة فيسبوك على التعديل قائلا: «*لنكن واضحين : نحن نراجع أنفسنا باستمرار، وعندما نواجه وضعا غير متوقع، نفكر في الحلول الممكنة وننظر في سبل مراجعة القواعد التي نعمل على أساسها*».

ولمزيد من المرونة، اتبع فيسبوك منهجا جديدا يفرض انتداب عدد كبير من الموظفين المكلفين بالتعديل (وقد أعلنت الشركة في مايو 2017 عن اعتزامها انتداب 3000 موظف لتدعيم الفريق الحالي الذي يعدّ 4500) وذلك حتى يتمكن من تخصيص معالجة ملائمة للمقالات المنقولة عن وسائل الإعلام، والتي تُعتبر استثناء بالمقارنة مع ما ينشر عادة في فيسبوك. ويُضيف رتشارد آلن: «*إذا كان نشر صورة لطفل عاري الجسد بموافقة المعني بالأمر يخدم المصلحة العامة، فعلينا أن نتجاوز السياسة المتبعة*».

الخوارزمية، رئيس التحرير العالمي الجديد

وبما أن الأمر يتعلّق بالإختيارات التحريرية، فإن الفرق بين فيسبوك وفضاءات الإعلام التقليدية ضئيل. ويقول أجيل هانسن في هذا الصدد بلهجة صارمة : «*كما أن رئيس تحرير «فوكس نيوز» هو المسؤول عن المحتوى التحريري ل«فوكس نيوز»، فإن مارك زوكربارغ هو المسؤول عن المحتوى التحريري لفيسبوك*» .

والفرق الحقيقي الوحيد بين الإثنين هو استعمال الخوارزمية في إختيار المضامين، تلك الآلية غير المفهومة بتاتا والمثيرة للجدل : ولا أثر لها في الصحافة التقليدية.

> *إن الصّور المزعجة قد لا تحظى بالإعجاب، إنّما يبقى لها دور تحسيسي أساسي في مجتمع ديمقراطي*

يلح رتشارد آلن قائلا: «*يسعى فيسبوك للحفاظ على خصوصيته. فأنت هو الناشر لإنتاجك وأنت من يختار ما تريد مشاهدته*». ولكن تبقى الخوارزميات هي التي تكيّف عادات القراءة لدى ما يُقارب مليارا من المستعملين الناشطين على فيسبوك، أي خمس سكان العالم. رسميا، تتمثّل مهمّة هذا الموقع في تفحّص وتحليل المعلومات التي ينشرها المستعمل أو المستعملة خلال الأسبوع المنقضي، أخذا بعين الإعتبار كل الصفحات التي نالت «اللايكات» (الإعجاب)، وكل المجموعات التي انخرط أو انخرطت فيها، وكل شخص يقوم أو تقوم بمتابعته. بعد ذلك، وحسب صيغة سرية يتمّ تجديدها باستمرار، ترتّب الخوارزميات التدوينات المنشورة حسب النظام الذي يتوافق مع اهتمامات المستعمل.

إلّا أن الخوارزميات، بحكم طبيعتها الأصلية، قد تصبح أداة تُثير إشكاليات إن لم نقل أداة خطيرة. ويُفسّر أجيل هانسن ذلك بالقول بأن «*تفعيل الخوارزميات يؤدي إلى انتقاء معايير محدّدة وحشرها في ما يسمى بفقاعات التصفية، وذلك من شأنه أن يعزز تلك الظاهرة السلبية وليدة عصرنا، ألا وهي تكوين تجمعات مستقطبة*». ويضيف أجيل هانسن: «*إن عدد مستعملي الفيسبوك المسجونين في تلك الفقاعات يزداد يوما بعد يوم، لا يحصلون إلا على الخبر الذي يرغبون فيه ولا يتواصلون إلا مع الأشخاص الذين يتقاسمون معهم نفس الآراء*». ومن هذا المنظور، تصبح معايير الإنتقاء المُحددة بالخوارزمية لتصنيف الأخبار حسب الأولوية، أمرا حاسما.

من جهته، يقارن رتشارد آلن متابعة شريط تسلسل الأحداث في الفاسبوك بالإنخراط في دورية إعلامية، ولا يعترف بأن فيسبوك يفرض على قرائه محتوى مُعيّنا. فالخوارزمية، حسب رأيه، لا يتجاوز دورها ترتيب العناوين للقراء بما فيه أكثر أريحية. لكن التحدّي يكمن في الكمية الهائلة للمدّ المتوفّر. ويقول رتشارد آلن: « *الملاحظ هو أن المستعملين يشتركون في حوالي ألف مدّ مختلف، في حين لا يسمح لهم وقتهم بقراءة أكثر من عشرين*»، ويضيف: «*الإمدادات الألف تبقى دائما متوفرة، لكن ذلك يؤدي بنا حتما إلى عملية الإنتقاء بما أننا نحتفظ بتلك التي تطفو في أعلى الكومة*».

إن تيسير الأخبار المُفضلة للقراء يمكن أن يجرّ إلى ما لا تحمد عقباه. وحسب ما ذهب إليه أجيل هانسن، «*فإن مثل تلك الإستراتيجية لها مزاياها عندما يتعلق الأمر بمشاهدة «ناتفليكس» (موقع يوفر الأفلام بصفة مستمرة مقرّه في الولايات المتحدة)*» لكنها تبقى «*مبدأ قابلا للنقاش في ما يخص حرية انتشار الخبر صلب مجتمع ما*».

دور الحكم في مواجهة الحقيقة

وحتى نكون أكثر إيجابية، لنعترف أن وسائل الإعلام الإجتماعية تحطّم الحواجز وتُيسّر التعبير لكلّ منّا. يلاحظ الصّحافي النرويجي، الذي يُتابع صحيفته على فيسبوك 340.000 شخص: «*عندما كتبت لمارك زوكربارغ، لم تكن رسالتي إلّا مقالاً صغيراً صدر في بلاد صغيرة، لكن محتواه انتشر بسرعة البرق في كل مكان. ومن المفارقات أن يكون فيسبوك هو بالذات صاحب الفضل في هذا الإنتشار*». لكن سرعان ما يعترف أجيل هانسن أن الإمكانية المُتاحة للجميع لنشر الأخبار هي سيف ذو حدّين يمكن أن يُؤدّي إلى التضليل، وينبّه : «*لقد أصبحت اليوم مغالطة مجتمعات بأسرها من السهولة بمكان. وأتساءل إن كنا، كمجتمع، مستعدين حقا لمثل هذا المستقبل الباعث على القلق*».

المصوّر نيك أوت، الذي التقط الصورة الشهيرة « ني ترور أوف وار » (الرعب من الحرب)، مخاطبا الصحافة على هامش مؤتمر حول حرب الفيتنام، انعقد في أبريل 2016 في المكتبة الرئاسية ليندون باينز جونسون بأوستين، تكساس (الولايات المتحدة).

© LBJ Library / David Hume Kennerly

© Ruben Oppenheimer

في إطار سلسلة الفضائح المتعلقة بالأخبار الزّائفة التي هزّت فيسبوك سنة 2016، اتُّهمت الشركة بالتأثير على الانتخابات الرئاسية الأمريكية من خلال نشر أخبار كاذبة وبخلق فقاعات تصفية تمنع الناخبين من الحصول على آراء غير مُطابقة لآرائهم. وحسب أحد التحاليل، إذا أخذنا بعين الإعتبار الأخبار المتصلة بالسياسة الأمريكية فقط، فإنّ الأخبار الزّائفة استأثرت ب 10،6 مليون من بين 21،5 مليون من التوزيعات وردود الفعل والتعاليق التي أثارتها المقالات باللغة الانجليزية في تلك السنة. أما الخبر الكاذب (الخدعة) المتعلق بباراك أوباما، الرئيس السابق للولايات المتحدة، فقد نتج عنه أكثر من 2،1 مليون تعليق وردود فعل وتوزيع على فيسبوك خلال شهرين فقط.

وحتى يُخمد الإنتقادات، ليس من الغريب أن يقرر فيسبوك وضع برنامج للتثبّت في الأحداث بهدف إصلاح منظومته : فبداية من مايو 2017، تكون المقالات المُبلّغ عن عدم الوثوق بها من قبل المستعملين محلّ تدقيق من طرف خبراء، ويتمّ إدراجها في صنف «محتوى مُعترض عليه».

ويُوضّح رتشارد آلن في هذا الصدد: «*لن نقوم بحذف هذه المحتويات. ذلك أننا من ناحية لا نريد لعب دور الحكم في مواجهة الحقيقة، ومن الأخرى فإننا نسعى إلى بناء مجموعة مطّلعة باعتبارنا مسؤولين أمام مجتمعنا*».

ويتقبّل أجيل هانسن هذا الإعتراف على أنه أساسي، ويُعبّر عن ارتياحه للتحسينات الإيجابية المُقدّمة من طرف فيسبوك منذ الانتشار الهائل الذي لاقته رسالته الأولى (المنشورة في صحيفة *أفتنبوستن*)، مُوضّحا: «*لقد خصّ مارك زوكربارغ صحيفة نيويورك تايمز بحديث بيّن فيه أن الجدال الذي أثارته تلك الرسالة فتح بصيرته وجعله يعي بضرورة تغيير طريقة تشغيل فيسبوك*».

كان ذلك وعيا مصحوبا بتدابير تبدو حاسمة، بالنظر إلى التأثير الهائل لوسائط الإعلام الإجتماعية على وسائل الإعلام التقليدية والتزايد المستمر لحضورها العارم في حياتنا اليومية.

رسالة مفتوحة بمثابة الصدمة الكهربائية

«(...) اسمع يا مارك، الأمر خطير ! في البداية، وضعتَ قواعد لا تُفرّق بتاتا بين صور إباحية للأطفال وصور شهيرة للحروب، ثمّ أخذت في تطبيقها دون أن تترك أي مجال للتفكير. وفي الأخير، فأنت لا تتوارى عن حجب الإنتقاد والحوار الدائر حول قرارك هذا، وتعاقب الشخص الذي تجرّأ على الوقوف ضدّه (...)

إن وسائل الإعلام الحرّة والمستقلّة تلعب دورا هامّا في نشر المعلومات، بما فيها الصور، التي قد تكون مُزعجة أحيانا، تلك المعلومات التي لا تريد النخبة، وأحيانا المواطنون البسطاء، مشاهدتها أو سماعها، لكنها قد تكون هامّة لذلك السبب بالذات (...).

كما أن لوسائل الإعلام مسؤولية التفكير في ما تنشره حالة بحالة. وهي مسؤولية ثقيلة أحيانا. فعلى كل محرر أن يقيّم الإيجابيات والسلبيات. هذا الحق وهذا الواجب اللذان يحظى بهما كافة الصحفيين في العالم، يجب ألّا يكونا عُرضة للتقويض من قبل خوارزميات تمّ تشفيرها في مكتبك بكاليفرنيا.

لقد منح فيسبوك لنفسه رسميا مهمّة «*جعل العالم أكثر انفتاحا وتواصلا*». وفي الواقع، فإنك تؤدّي هذه المهمة بشكل سطحي تام. وإذا كنت ترغب في عدم التفريق بين صور إباحية للأطفال وصور توثيقية أُخذت أثناء الصراعات، فإن ذلك لا يُمكن إلّا أن يُشجّع على الغباء ولن يُساهم البتّة في التقريب بين الناس.

إن ادعاء إمكانية خلق قواعد مُشتركة وكونية حول ما يمكن نشره وما لا يُمكن، إنما هو ذرّ الرماد على الأعين، لا غير (...)».

(مقتطف من الرسالة المفتوحة التي وجّهها أسبن أجيل هانسن إلى مارك زوكربارغ والتي نُشرت في الصفحة الأولى من *أفتنبوستن* بتاريخ 8 سبتمبر 2016).

مراهنة ناجحة

لتلفزة على الخط

أندريوس تابيناس

رغم التحديات المتعددة التي يواجهها قطاع الإعلام بمختلف جوانبه، فانّ الصحفيين هم الأقدر على التكيف مع المشهد الإعلامي الجديد شرط ان يتمكنوا من استيعاب التقنيات الجديدة وابتكار طرق مهنية مختلفة عن المعهود واعتماد آليات متجدّدة في إدارة المؤسسات الإعلامية. انّ قصّة قناة *الحرّية* ، وهي قناة تلفزيونية مستقّلة تبثّ على شبكة الإنترنت وتموّل بمساهمة من الجمهور، لخير دليل على ذلك.

سواء رضينا بالأمر أم لا، نحن نعيش في العصر الرقمي. ومن المرجح جدّا أن لا يرتاح الجيل القديم من الصحفيين لهذا الأمر. لقد غمرت الثورة الرقميّة بصفة مفاجئة كل وسائل الإعلام، المطبوعة منها والسمعية البصرية، على الأصعدة التقنيّة والماليّة والإبداعية، واضعة إياها أمام أكبر التحديّات على الإطلاق. فهل ستكون على مستوى هذا التحدي؟ لا يبدو الأمر كذلك. ولكن ليس بيدها حيلة، فهي إمّا أن تغرق أو تسبح.

إن ظهور الإنترنت، منذ ما يناهز الثلاثين عاما، جعل العالم مدمنا على احدى المخدرات الأقوى تأثيرا على مجتمعاتنا المعاصرة، ألا وهي الحصول على المعلومات مجانا وبسرعة البرق.

قبل أن يفهم ما أصابه، تفاجأ الجيل القديم بضربة ثانية تتمثل في الوسائط الإجتماعية، موجة كانت أكبر وأقوى من موجة شبكة الإنترنت السابقة، لكن هذه المرة بعواقب أكثر خطورة. فقد أضحت الوسائط الاجتماعية تتصدر المرتبة الأولى في حين تضاءلت الإشتراكات مدفوعة الأجر في الصحف والمجلات، وبدأت مرتبة القنوات التلفزيونية تتراجع خلف آلاف المواقع الإخبارية على شبكة الإنترنت.

فجأة، ارتدى الجميع نفس قبعة الإعلامي ولم يعد هناك فرق بين المصوّر، والمحرّر، والمعلق، والصحفي والمنتج. وبانهيار الحواجز التي أقاموها، فقد كل الذين كانوا يشرفون على بوابات الولوج الى المعلومة امتيازهم الأكبر، ألا وهو الحق في تقرير ما هو مهّم وما هو غير مهمّ.

لقد شكّل انتخاب دونالد ترامب في نوفمبر 2016 لأعلى منصب في الولايات المتحدة المثال الأكثر دلالة على مدى تأثير الوسائط الاجتماعية. ورغم الكره الشديد الذي كانت تكنه وسائل الإعلام التقليدية له، إلّا أنّ "صانعي الملوك" السابقين وجدوا أنفسهم مجبرين على الإستجابة لكل رغباته حتى يجتنبوا لمؤسّساتهم الإعلامية انتحارا اقتصاديا على مرأى من قرّائهم ومُشاهديهم. وهكذا سجل التاريخ دونالد ترامب كأوّل رئيس أميركي للوسائط الاجتماعية .

يمكن لأيّ شخص أن يصبح نجما

منذ البداية، وبكل احتقار، اعتبر الجيل القديم الوسائط الإجتماعية مجرد أداة ترفيهية للشباب. ثم حلّ يوتوب : أكبر مستودع للأرشيف التلفزيوني وأهم مصلحة لخدمات حفظ أشرطة الفيديو في العالم. يوتوب لا ينتج شيئا لكنه أصبح ملاذا لجميع الطموحات في أرجاء المعمورة. أيّ شخص، في أيّ مكان من العالم، يمكنه الآن أن يحقّق أحلامه سواء كان مطربا أو طباخا ماهرا أو ملاكما أو نجما معترفا به في الأوساط الإعلامية. فأصبح كل شيء ممكن وبدون مقابل.

حقق المكنّى بيوداي باي (اسمه الاصلي فيليكس أرفيد أولف كيلبرغ من مواليد السويد، في أكتوبر 1989)، وهو ممثل ومنتج فيديو على شبكة الإنترنت، مساره كملك لليوتوب، مع ما يقارب 55 مليون مشترك! أما في ليتوانيا، فقد حقق كل من ويدوتاس و ذي أدفيناس نجاحا باهرا باستخدام يوتوب حيث حصلا على عدد من المشتركين يفوق القنوات التلفزيونية الوطنية الأربعة مجتمعة.

بالطبع، ليست كل وسائل الإعلام الجديدة إيجابية، حيث يترتب عليها أحيانا نتائج باهظة الثمن. فالأخبار الكاذبة، والإعدام المعنوي الجماعي، وصيد الفرص والإتهامات التي لا أساس لها من الصحّة، كلها منتشرة على نطاق واسع، ذلك أنه لا توجد على الإنترنت أية وسيلة لانتقاء المعلومات السليمة من دونها ولا أية قواعد تحريرية. ولاشيء يحرضك على احترام أبسط القواعد المتصلة بضبط النفس أو اللياقة، إذا لم تكن ترغب في ذلك.

تحت ضغط انتشار شبكة الإنترنت، تفاقمت معاناتنا من عذاب التغيرات الإعلامية. وباعتبارنا صحفيين، علينا أن نقبل هذه الثورة، وأن نزيل كل المعيقات التي تكبح تأقلمنا مع التحوّل الرقميّ. إن الصفات المهنيّة التي نتحلّى بها من شأنها أن تجعلنا في مقدمة معظم المهنيين المبتدئين.

وتتيح التقنيات الجديدة حريةّ لم يسبق لها مثيل، لا سيما في البلدان التي تخضع فيها الصحافة لمراقبة الحكومة. لا مجال في التفويت في هذه الفرصة المثالية للتعبير عن الرأي وجعل صداه يدوي في جميع أنحاء العالم. فالتّفاعل مع الجمهور أمر بالغ الأهميّة وردّ فعله الفوري هو أداة فعالّة لا بد من الإستفادة منها.

آخر مشهد من الموسم الأول لبرنامج « كونوا صامدين مع أندريوس تابيناس ! ». تمّ التسجيل في كلايبيدا، أكبر مدينة مرفئية في ليتوانيا، وجمع حوالي 2000 مشاهد (23 مايو 2017).

© Matas Baranauskas

دعم المشاهدين ... مساهمة قيّمة

يمكن النظر للتغيرات التي تشهدها الصحافة بصفة إيجابيّة. لقد حثتنا على الإبداع وعلى استنباط نماذج عمل جديدة لضمان ديمومة مؤسساتنا. هكذا كان الحال بالنسبة لي. لقد دفعتني صدمة فقدان برنامجي في التلفزيون الليتواني إلى رد الفعل. فبادرت بتأسيس قناة *الحريّة* في سبتمبر 2016 وهي قناة تلفزيونية مستقلّة تبث على الإنترنت، ممولة من قبل المشاهدين.

نبث نحو خمسة عشر برنامجا كل شهر، وسوف نقوم بإضافة ما لا يقلّ عن ثلاثة برامج أخرى في خريف سنة 2017. ويشتمل المحتوى على برامج سياسيّة هزلية باللغتين الليتوانية والروسية، وبرامج حوارية، وتحقيقات استقصائية، وتحاليل سياسيّة وأفلام وثائقية ذات المحتوى الجيّد.

يضم طاقم العاملين لدينا والمتكون من موظفين بدوام كامل وموظّفين مستقلين، كل الاختصاصات من فنيين ومحررين ومصورين وصحفيين وكتاب سيناريو... ويتولّى فريق إداري صغير مهمّة الاتصالات للقناة. أمّا تصوير برامجنا الرئيسية فتتمّ في المسارح بكاميرات عالية الوضوح أمام جمهور مشاهدين من 200 إلى 250 شخص.

نحن مؤسسّة غير ربحية، لذلك علينا التأكّد من اتزان مصاريفنا ممّا يدعونا إلى التقشّف. فمعظم معداتنا مستأجرة أو تأتينا مع المهنيين العاملين معنا. كما أنّ معظم عملنا يتمّ على شبكة الإنترنت، ونستخدم مساحة صغيرة لمكاتبنا للاجتماعات والتحرير. ونخطّط حاليا للإنتقال إلى مكاتب أكثر اتّساعا في خريف سنة 2017.

لقد تمكنّا من تحقيق هدفنا المالي بحصولنا في الوقت المناسب على 15.000 يورو في غضون عشرة أيام. وكان قد تعهد نحو 5000 شخص بالمساهمة في تمويلنا في الشهر الأوّل. ويحق للمشتركين تقديم دعمهم لأيّ مدّة يختارونها، دون أيّ التزام بالإستمرار. وبالنسبة لبلد يقلّ عدد سكّانه عن ثلاثة ملايين نسمة، فانّ ذلك يمثّل إنجازا مرموقا. كما أننا نحصل على تمويل من قبل الراعين التجاريين بدون قيد أو شرط.

نموذج اقتصادي أثبت فعاليته

كان قراري بوضع نفسي وفريقي بين أيدي الجمهور أكبر رهان خلال مساري المهني كصحفي. هل سيكون الجمهور على استعداد لدفع ثمن شيء يمكن أن يحصل عليه مجانا لكنّه قد يفقده إذا لم يدفع ثمنه؟ هل الجمهور مقتنع بما فيه الكفاية بالمصلحة العامة حتى يلتزم بدعم وسائل الإعلام المستقلّة ؟ لم يكن خبراء وسائل الإعلام في ليتوانيا متيقنين من ذلك ،ورغم ذلك، مضينا قدما في إنجاز المشروع.

وفي شهر مارس 2017، اقترحنا على المشاهدين أن يقوموا بتحويل 2٪ من ضرائبهم إلى قناة تلفزيون *الحريّة*. ونحن الآن ننتظر بفارغ الصبر معرفة مقدار التمويل الذي نستطيع جمعه عبر هذه المبادرة.

في غضون أربعة أشهر، أصبح تلفزيون *الحرية* أكبر كيان إعلامي على موقع يوتوب الليتواني، حيث وصل عدد مشاهدي بعض برامجه إلى مئات الآلاف منافسا بذلك البرامج التلفزيونية الأكثر شعبيّة. وبعد مضي ثمانية أشهرعلى الإنطلاق، اعترف خبراء وسائل الإعلام بأنّهم كانوا على خطإ وبدأوا في الاهتمام بمخطّطنا للتوسّع.

يعتبر النموذج الإقتصادي لمشروعنا جديداً على الساحة الإعلامية ويقع في خط مواز مع الثورة الرقمية، لكّنه ليس فريدا في نوعه. فقد تمّ إطلاق مشاريع صحفية بتمويل شعبي مساهم مماثلة في كل من هولندا وسويسرا والهند والعديد من البلدان الأخرى.

انّه ليس بالعمل السهل؛ بل هو أصعب وظيفة قمت بها في أيّ وقت مضى في مسيرتي، خلال ما يقارب العشرين عاما. ولكن هذا هو السبيل الوحيد الذي أودّ اكمال مسيرتي فيه كصحفي. والثورة الرقميّة هي التي منحتني هذه الفرصة.

أندريوس تابيناس صحفي وكاتب ليتواني. أسّس القناة التلفزية *الحريّة* على الإنترنت في عام 2016 وهو مقدّم لبرنامجها الرائد «كونوا صامدين». تابيناس هو من بين الأشخاص الأكثر شعبية في وسائط الإعلام الاجتماعية الليتوانية، مع ما يفوق 130.000 متابع على فيسبوك.

منارة بفضل النّات

كارلوس دادا

تمرّ الصحافة بأزمة عالمية بسبب النفاذ السهل للإنترنت والشبكات الاجتماعية وما انجرّ عنه من إشاعات وأخبار زائفة. والحال أن هذه الفضاءات وهذه الأدوات بالذّات من المفروض بل ومن الواجب أن تُسخّر في سبيل صحافة أفضل، كما تبيّنه تجربة صحيفة *الفارو* السلفادورية الرائدة في مجال النات. وفي ما يلي عرض لمسارها على مدى عشرين سنة.

© Fred Ramos

أطلقت صحيفة الفارو مع المصوّر السلفادوري فراد راموس حملة بعنوان « آخر لباس للمفقودين » تتمثل في نشر مجموعة من الصّور قصد تمكين العائلات من تحديد هوية المفقودين من خلال التعرّف على ملابسهم. ولقد حظي فراد راموس بمساندة معهد الطب الشرعي لإخراج الجثث مجهولة الهوية من القبور.

عندما اقتحمنا ميدان الصحافة، كنّا نوعا ما، مُكرهين ومُجبرين. ففي سنة 1998، إبان انتهاء حرب أهلية طويلة في السلفادور، انطلقنا على غير هدى، نظرا لعدم وجود شخصية قيادية في صفوفنا. لكننا كنا على يقين بأن الوضع بعد الحرب يتطلّب نظرة جديدة وأصواتا مُستقلّة لإنعاش المشهد الإعلامي الوطني : كانت البلاد تستحقّ صحافة جديدة، فاستجبنا لذلك.

أُنشئت *الفارو* (المنارة) في مايو 1998 بدون أية إمكانيات. وهو السبب الذي جعلنا ننشرها عبر الإنترنت، في زمن كانت نسبة عدد المواطنين السلفادوريين المستخدمين للشبكة تتراوح بين 2 و5%. وإن التجأنا آنذاك إلى التكنولوجيات الحديثة لنفرض ذاتنا، فلأننا لم نكن قادرين على تحمّل تكاليف إنتاج صحيفة مطبوعة. كان الإنترنت ملاذنا الوحيد. وكنا محظوظين إذ لم نكن نتوقّع أبدا آنذاك ما سيكون للواب من تأثيرعلى مصير البشرية.

في البداية، كنا نُنجز *الفارو* أثناء أوقات فراغنا، ثمّ التحق بنا شيئا فشيئا شبّان موهوبون راغبون في التعلّم ضمن هذه المؤسسة الإعلامية من النوع الجديد. لم نُسجّل أية مرابيح طيلة عدّة سنوات، لكن مصاريفنا كانت ضئيلة، إذ كان كلّ واحد منا يعمل في بيته مجانا. وهو ما دعّم فينا روح الإستقلالية. وعندما بدأ عالم الصناعة يأخذ الإنترنت بمحمل الجد وبدأ القرّاء يغوصون في الشبكة بحثا عن الأخبار، كنا قد ركّزنا أنفسنا بثبات.

في غياب ذوي الخبرة في مجال الصحافة واستحالة الإستفادة من التجارب السابقة، التجأنا إلى ممارسة القراءة، مشفوعة بالنقد الذاتي. وإن بلغت صحيفتنا قدرا من النضج فذلك بفضل الدروس التي استوعبناها من أخطائنا ومثابرتنا على التفكير والنقاش حول ممارستنا.

من هم خونة الوطن؟

وأفضى هذا النشاط التطوّعي والمعزول إلى تأسيس مكتب بأتمّ معنى الكلمة. وأصبح العديد من طلبة الصحافة، ممّن تعاونوا معنا منذ البداية، مُشاركين في ملكية الصحيفة وأصحابَ أسهم فيها. وبعد ما يُناهز العشرين سنة، أصبحت *الفارو* إحدى المؤسسات الإعلامية الأكثر حظوة في أمريكا اللاتينية، لما تمتاز به من جودة في الأداء.

نخصّص الجزء الأكبر من نشاطنا إلى الصحافة الإستقصائية والسردية، وذلك بتغطية ستة محاور : العنف والجريمة المنظّمة، والفساد، وجرائم الحرب، والثقافة، والفقر واللّامساواة، والسياسة. وهذه المواضيع، حسب رأينا، قلّما يقع تناولها، رغم أنها ضرورية لتفسير أسباب بقاء السلفادور، بعد عشرين سنة من انتهاء الحرب فيها، أكثر الدول عنفا في العالم. دولة ينخرها التفاوت والفقر وهي رهينة الأموال التي يقوم بتحويلها مليونان من السلفادوريين الذين يعيشون في الخارج، والذين يُمثّلون ثلث الشعب.

والغريب في أمر مهنتنا أنه بقدر ما نتفانى في إتقانها بقدر ما يتقلص عدد أصدقائنا. وقد كنا عرضة لاتّهامات عديدة : خيانة الوطن، وحماية العصابات، ومعاداة الملكية الفردية أو الثورة. وبما أن المشهد السياسي في بلادنا مُستقطَب بين جهتين من المُتطرّفين الذين قاموا بالحرب، تتّهمنا حكومات اليمين بأننا يساريّون وحكومات اليسار بأننا يمينيّون. وقد وصلتنا رسائل تهديد من تجّار المخدّرات ومن مجرمي الحرب ومن رؤساء العصابات ومن سياسيين فاسدين ومن قادة في الجيش وفي الشرطة. مما حملنا في العديد من الحالات إلى الإلتجاء إلى القضاء.

وتصلنا أيضا في بعض الأحيان رسائل استياء من طرف قرّاء خاب أملهم في عملنا معتبرين أنه لا يتطابق حسب نظرهم مع ما هو ضروري للبلاد. وكنا نشرنا، منذ بضع سنوات، تقريرا صحفيا يُندّد بالمجزرة التي اقترفتها الشرطة دون تردّد، ذهب ضحيتها شبان منحرفون. فكان أن اتّهمنا عديد القراء بعرقلة عمل أجهزة الأمن، لأن العصابات هي أكبر مصدر للعنف في السلفادور. وإن كنا نتفهّم أسباب ردود الفعل هذه، إلّا أننا لا نقبل بتوجيه عملنا الصحفي للإستجابة لانتظارات القراء أو التخفيف من قلقهم. لأن الصحافة الشعبويّة هي صحافة غير مسؤولة بقدر ما هي مُضرّة ولا أخلاقية.

منتدى أمريكا الوسطى

وفي الفترة الأخيرة، حاولنا توسيع تغطيتنا للأحداث لتشمل الهندوراس وغواتيمالا، وهي دول مجاورة تُعاني نفس القدر من العنف والفساد والاحتقان الاجتماعي. ورغم أننا لم نتوصّل بعد إلى القيام بذلك بالشكل التام المنشود، إلا أننا تقدمنا في بناء شبكة تُمكّننا من إجراء تحقيقات بالإشتراك مع بعض الصحفيين في تلك الدول.

وبعد عقدين من التقدّم، أصبح العديد منّا في *الفارو* ينشر الكتب، وينشط في الإذاعات، ويُنجز الأشرطة الوثائقية، ويُقيم المعارض، ويُلقي المحاضرات. إذ نشعر بالحاجة إلى نقل معارفنا إلى الأجيال الجديدة.

ولهذا الغرض، نقوم في شهر مايو من كل سنة بتنظيم منتدى للصحافة في أمريكا الوسطى على امتداد أسبوع، يتمثّل في ورشات ومحاضرات ومعارض، نستقبل فيها عشرات المدعوّين القادمين خصّيصا من كافة دول أمريكا اللاتينية ومن الولايات المتحدة ومن أوروبا.

ويقوم الصحفيون أصحاب الخبرة في المنطقة ومن دول أخرى بإدارة ورشات حول الصحافة الإستقصائية، والصحافة الإذاعية، والتصوير والتحرير. ولقد شارك هذه السنة في تلك الورشات أكثر من مائة صحافي شاب أتوا بالخصوص من أمريكا الوسطى.

يمثل منتدى أمريكا الوسطى الحدث الأبرز في برنامجنا القار للتكوين والمحاضرات. والهدف منه تحسين أداء الصحافة في أمريكا الوسطى، المنطقة الأكثر فقرا في القارّة، وربط الصلة بصفة مستمرّة بين الصحفيين في كافة أنحاء أمريكا اللاتينية. هذه هي طريقتنا في المساهمة في خلق شبكات جهويّة من شأنها أن تُوفّر امكانيات جديدة للتعاون في معالجة المشاكل التي ما فتئت تجتاز حدود دولنا يوما بعد يوم.

كارلوس دادا صحافي من السلفادور. أسّس *الفارو* سنة 1998. تولّى تغطية أحداث العراق والفينيزويلا والمكسيك وغواتيمالا والهندوراس. تُنشر مقالاته في أمريكا اللّاتينية، وفي الولايات المتحدة، وفي البوسنة، وفي إسبانيا. أُسندت له سنة 2011 جائزة ماريا مورز كابوت لجامعة كولومبيا بنيويورك.

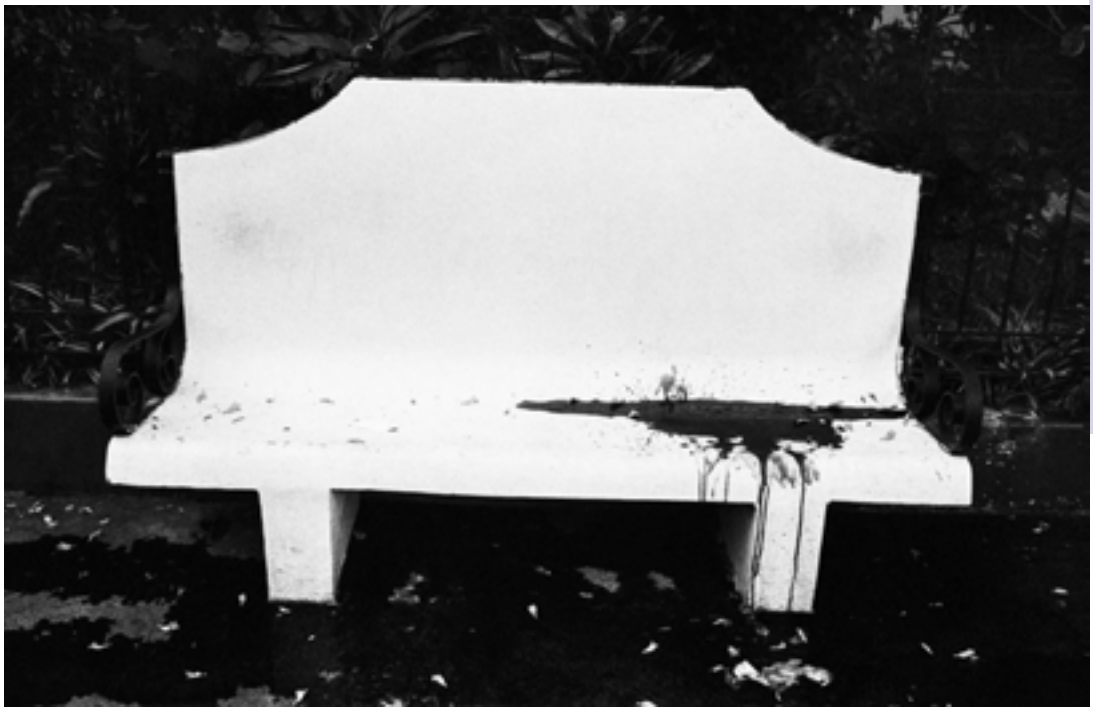

« من المستحيل التقاط الصّور بكلّ موضوعية، لكن بالإمكان عرض قصّة بكلّ صدق »، هذا ما قاله خوان كارلوس، المصوّر السلفادوري وصاحب هذه الصورة التي تُمثّل مقعدا يحمل أثر عمليّة اغتيال في حديقة عمومية في شالشوابا، بالسلفادور.

© Juan Carlos (www.juancarlosphotos.com)

الصحافة الإستقصائية:

الكشف عن الحقيقة رغم كلّ الصّعاب

سانيتا جيمبرغا

تمثّل الصحافة الإستقصائية إحدى ضمانات المسار الدّيمقراطي. لكن مستقبلها غير مؤكّد : بدون استقلالية مالية، لن تصمد طويلا. وفي تجربة *ري بلطيقا* وهو مركز للصحافة الإستقصائية في لاتفيا، مثال يقتدى به.

© Semih Poroy (Turquie) - Cartooning for Peace

هذا الرسم من مجموعة «كرتونينغ فور بيس» وهي شبكة دولية لرسّامي الصحافة الملتزمين، تحظى بدعم اليونسكو.

أشعر بالإنزعاج كلّما تم اعتبار الصحافة الإستقصائية بمثابة «المهمّة» أو «الموهبة». أنا أعتبرها، بكلّ بساطة، خيارا فرديا تولّده الضرورة، وتيسّره مجموعة من المهارات وشخصيّة متميّزة تتحلى بالمثابرة والتماسك في مواجهة المظالم أحيانا. وقد أوضحت زميلتي إنجي سبريزي ذات يوم أنها تمارس هذا العمل من أجل جدّتها التي ليست قادرة على مساءلة السلطات حول مواضيع معقدة !

لقد تم اختبار عزمنا أنا وسبريزي، في مواصلة مساءلة السلطات عندما تمّ بيع *ديانا*، وهي الصحيفة التي كنا نعمل فيها، من طرف ناشرها، بونيير (التكتل الإعلامي السويدي)، لأقليّة من المحليين ذوي النفوذ الذين كانوا قد حاولوا إسكات الصحيفة منذ سنوات عدّة. وقد حدث ذلك في خضم أزمة اقتصادية عميقة، وانهيار جمهور القراء ومبيعات الصحيفة، في وقت لم يتم فيه أخذ شبكة الإنترنت على محمل الجدّ، إلا بعد فوات الأوان.

ومن هنا كان تأسيس مركز البلطيق للصحافة الإستقصائية *ري بلطيقا* في عام 2011 بإدارة جمعية تعاونية من الصحفيين، مهمته تقديم نتائج تحقيقاته إلى وسائل الإعلام الرئيسية، مجانا.

لقد كان الوضع في لاتفيا يعكس بصفة عامة الأزمة التي بدأت تعاني منها صناعة الإعلام في جميع أنحاء العالم، حتى قبل ظهور فيسبوك وجوجل.

© James Duncan Davidson (CC BY-NC 2.0)

الصحفي الإستقصائي الغاني أنس أريمياو أنس، المعروف بتحقيقاته حول انتهاك حقوق الإنسان والفساد، يحافظ على سرّية هويته بتغطية وجهه عند ظهوره أمام العموم.

دور العميل مرفوض

لكن الفارق هو أنّ مجموعة من الذين عملوا في صحيفة *ديانا* التي كانت تعتبر أفضل صحيفة في دول البلطيق، بقيت متمسكة بضرورة وجود الصحافة الإستقصائية في النظم الديموقراطية اعتبارا لدورها الأساسي في مساءلة من هم في السلطة. وينطبق هذا الأمر أيضا على البلدان التي تحكمها أنظمة استبدادية، حيث يتعرض الصحفيون المعنيّون لانعكاسات أخطر بكثير على المستوى الشخصي.

ففي غياب الصحافة التحقيقية، علينا أن نكتفي بالأخبار اليومية، وبالمحتوى الحكومي مدفوع الأجر، والقيل والقال عن المشاهير. ومن ثم، فإنّ الصحافة لن تعمل كمؤسسة رقابية ضامنة، بل كالخادم المطيع لمن هم في السلطة.

واستعدادا للتغيير، أمضت سبريزي سنة في الولايات المتحدة الأمريكية لدراسة النماذج غير الربحيّة للصحافة الإستقصائية ثم عادت إلى لاتفيا لتنشئ مركز *ري بلطيقا*. وكانت الفكرة جديدة نسبيا آنذاك في أوروبا، ولكن بحلول عام 2012، أصبح هناك بالفعل أكثر من 100 مركز غير ربحي في مجال الصحافة الإستقصائية في أكثر من خمسين بلدا.

توقّع الجميع أن يموت المشروع خلال عام، ولكن ثبت أنّهم كانوا على خطأ، وها نحن على أبواب الإحتفال بمرور ست سنوات على تأسيسه في أغسطس 2017. وهناك أسباب عديدة توضح كيف نجونا وتفسر نجاحنا.

السبب الأوّل ، هو القدرة على بذل الكثير من العطاء والغوص في خضم الأحداث. لقد أدركنا في وقت مبكر أنّه إذا كانت مداخيلنا تعتمد فقط على المانحين الدوليين (وهي بالنسبة إلى لغة قليلة التداول وسوق إعلاميّة فقيرة نسبيا، تشكّل المصدر الوحيد المتاح)، فلن ندومَ طويلا. لهذا السبب قررنا أن لا تفوق نسبة المنح 60٪ من ميزانيتنا وأن نوفر الباقي من دخلنا الشخصي المكتسب من التدريس والإستشارات والبحث وكتابة النصوص للأفلام الوثائقية. كما حصلنا على تبرعات من القراء والجهات المانحة الخاصّة. لكننا نبقى دائما غير واثقين في قدرتنا على الإستمرار بعد عام من الآن.

التنديد بالفساد وباللّامساواة الإجتماعية

من الضروري العثور على الشركاء المناسبين. ونحن ساهرون على الإقتصاد في النفقات سواء في ما يتعلق بموقعنا على الإنترنت أو بمقر المركز. يتكون الفريق الدائم لمركز *ري بلطيقا* من محررين اثنين، ومصمّم، ومحاسب.

ومن ثمّ نقوم بتوظيف غيرهم من صحفيين ومترجمين وفقا لاحتياجات مقال معين، وقد نصل إلى عشرين أو ثلاثين مساهما سنويا. إن انتاجنا متاح مجانا لجميع وسائل الإعلام التي ترغب في نشره. ولدينا أيضا مجموعة من الشركاء العاملين في التلفزيون والإذاعة والصحافة المطبوعة والإلكترونية الذين نتعاون معهم. وبما أنّ هذه المنافذ الإعلاميّة لا تتنافس فيما بينها مباشرة، يتضاعف انتشار الرسالة ومدى تأثيرها.

لا تقتصر الصحافة الإستقصائية على الكشف عن الفساد. لقد شاركنا في التحقيق حول *وثائق بنما*، ذلك التسريب الهائل لأكثر من 11،5 مليون وثيقة مالية وقانونية كشفت عن أسماء سياسيين ومجرمين وشركات محتالة في كل أنحاء العالم، وعن أماكن إخفاء أموالها. قد تصدّر هذا التحقيق العالمي الضخم برئاسة الإتحاد الدولي للصحفيين الإستقصائيين عناوين الصحف في كل أنحاء العالم في سنة 2016 وحصل على جائزة *بوليتزر*، وكان الأساس لقوانين جديدة تمّ إصدارها في عدد من البلدان.

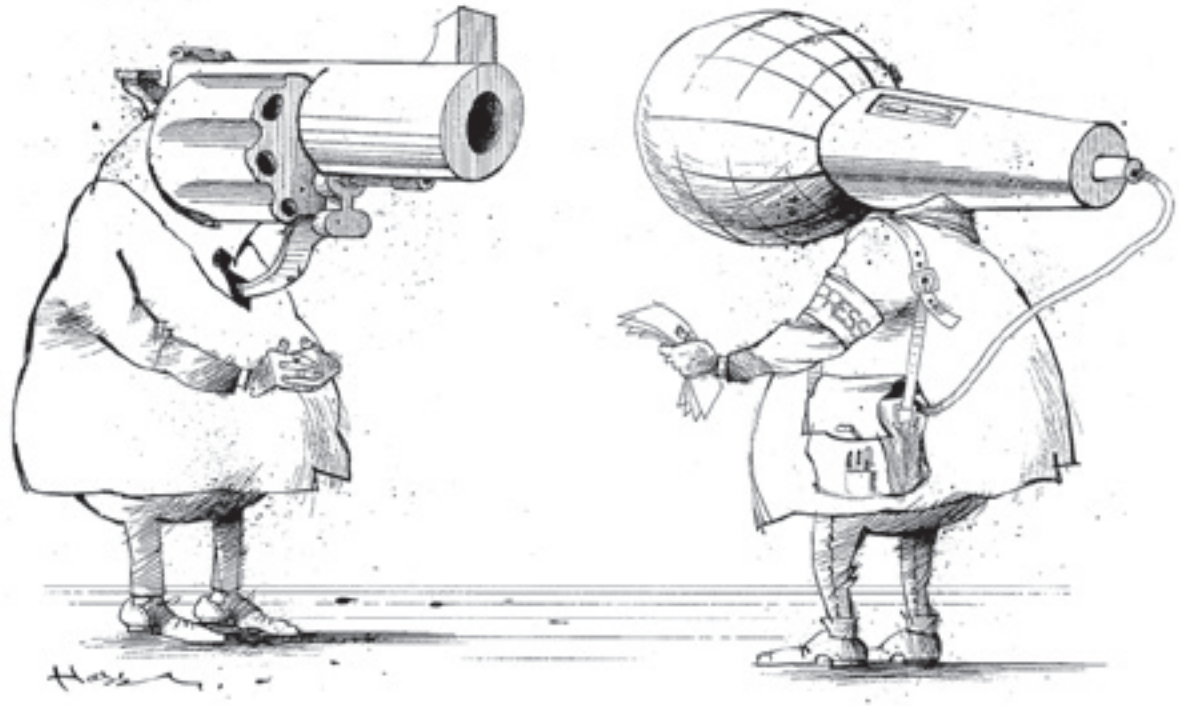

© Hassan (Iran) - Cartooning for Peace

هذا الرسم من مجموعة كرتونينغ فور بيس، وهي شبكة دولية لرسّامي الصحافة الملتزمين، تحظى بدعم اليونسكو.

جزء كبير من عملنا يركّز على أوجه عدم المساواة الاجتماعية في لاتفيا باعتبارها تشكّل أكبر تهديد للبلاد على المدى الطويل. ونقوم بمعالجة مجموعة من المشاكل الاجتماعية من بينها أوجه القصور في نظام التعليم والأجور الضعيفة المدفوعة للعاملين في المحلات التجارية الكبيرة. عملنا ليس دائما ممتعا وقد حصل أن اشتغل زملاء لنا في مصنع للأسماك لفضح ظروف العمال هناك.

وكشفت آخر تحقيقاتنا عن رجل أعمال لاتفي كان قد ورد اسمه في *وثائق بنما* وكان مرتبطا بالانتخابات الفرنسية لِعام 2017. ونحن بصدد الإعداد لسلسلة من المقالات لفضح الأخبار الزّائفة ومنابعها على شبكة الإنترنت في منطقة البلطيق.

بدون قيد أو شرط

أنا لست متفائلة جدا حول مستقبل الصحافة الإستقصائية. ولكنني مقتنعة بأنّ وصول الأنظمة الاستبداديّة إلى السلطة سيرفع من شأن الصحافة وذلك من خلال إبراز الحاجة لفصل الحقيقة عن «الوقائع البديلة»، والفصل بين التقارير الزّائفة والتقارير الحقيقية. فقد أثبتت المنظمات غير الربحية أنها بديل محتمل لوسائل الإعلام الرئيسية في الوقت الذي تختفي فيه الصحافة الإستقصائية من مجالس التحرير.

إلا أن العديد من هذه المشاريع غير الربحيّة معرضة للإندثار اذ من المحتمل أن يتقلص اهتمام المؤسّسات المانحة، كما أنّ الأعمال الخيرية أصبحت نادرة، خاصّة في البلدان التي هي في أمسّ الحاجة إلى التقارير الإستقصائية. لهذا، لا بد من الاعتراف بالصحافة الإستقصائية على أنها منفعة عامّة. وإن لم يتمّ توفير التمويلات اللازمة لها، فالأمل في بقائها سيكون محدودا للغاية.

كما يجب على المنظمات الدولية ، التي تحرص على تدريب الصحفيين وتمويل المؤتمرات والحملات، أن تنشئ آليات من أجل تمويل الصحافة الإستقصائية بطريقة علنية، صريحة وتنافسية باعتبارها منفعة عامّة، دون قيد أو شرط. تلك هي الطريقة الوحيدة التي يمكن فيها للصحافة الإستقصائية أن تبقى على قيد الحياة.

سانيتا جيمبرغا هي صحفية تحقيقيّة من لاتفيا، عملت في مجال الصحافة والتلفزيون منذ سنة 1996. وهي مديرة تنفيذية ومحررة في مركز البلطيق للصحافة الإستقصائية غير الربحيّ *ري بلطيقا*، وتدرّس التربية على وسائل الإعلام في كلية ستوكهولم للإقتصاد في ريغا.

كارتونينغ فور بيس

الرسم الهزلي في خدمة السلام

في إطار إحياء اليوم العالمي لحرية الصحافة، في 3 مايو 2017، نظّمت اليونسكو و*كارتونينغ فور بيس* معرضا على النت لخمسة عشر رسما صحفيا.

كارتونينغ فور بيس هي منظّمة دولية أسّسها سنة 2006 كل من كوفي أنان، الحائز على جائزة نوبل للسلام سنة 2001 والأمين العام السابق لمنظمة الأمم المتحدة، والرسّام الفرنسي بلانتو. وهي شبكة تضمّ رسامين صحفيين يُناضلون من أجل احترام الثقافات والحريات بطريقة هزلية.

بعد عشر سنوات من تأسيسها، تعدّ *كارتونينغ فور بيس* 162 رسّاما عبر العالم من 58 بلادا مختلفة. بقدرته على تجاوز اللّغات والثقافات، يُمثّل الرسم الصحفي أداة رائعة، قادرة على بعث الحوار بين الثقافات وعلى تغذية النقاش حول المفاهيم الأساسية مثل حرية التعبير والسلم والتسامح.

معجم للقرّاء

في الوقت الذي غزت فيه وسائل الإعلام الاجتماعية حياتنا اليومية، ظهرت في لغتنا عبارات ومفاهيم جديدة، بين الخوارزميات والأحداث البديلة والأخبار الزّائفة وما بعد الحقيقة. في ما يلي بسطة لتوضيح هذه التعابير.

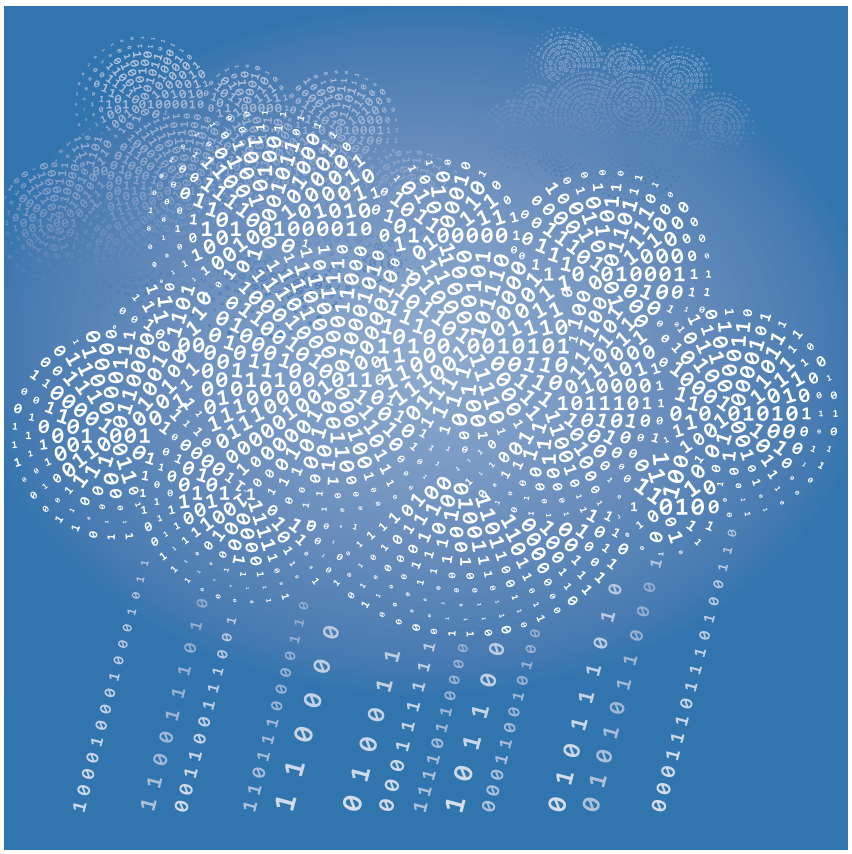

© Polygraphus / Shutterstock

الخوارزميات : يعود أصل هذه الكلمة إلى اسم عالم الرياضيات الفارسي الخوارزمي (حوالي سنة 820)، الذي يرجع إليه الفضل في ابتكار الترقيم العشري وإدخاله إلى الغرب. وفي عصر الذكاء الإصطناعي، تتمثّل الخوارزمية في سلسلة من الإملاءات يقوم الحاسوب بتطبيقها بصفة آلية. وبعد أن أصبحت الخوارزميات تُرادف في لغتنا اليومية الذكاء التقني مقابل الذكاء البشري، فإنها أصبحت مُستعملة في كافة المجالات، بدءا من طلب المعطيات في محركات البحث، إلى الأسواق المالية، مرورا بانتقاء المعلومات لنصح مستعملي الإنترنت.

سبل الإثبات : وتُسمّى أيضا «سبل إثبات الفرضيات»، وهي شبيهة بالفكر الانتقائي. وهي النزعة إلى تفضيل الأخبار ا لتي تدعم معتقداتنا وإلى تجاهل أو التقليل من شأن ما يُخالفها.

فضاء للتصفية : هو مفهوم طوّره الأمريكي إيلي باريزر، الذي شارك، سنة 2007، في تأسيس آفاز.أورغ، وهي منظمة غير حكومية للنضال عبر الإنترنت. وحسب رأيه، فإن خوارزميات الشبكات الاجتماعية تقوم بالتصفية (بواسطة تحليل ردود الفعل مثل الإعجاب (*لايك*) والتقاسم (*شير*) وتعرض على المستعملين محتويات مُشخّصة مُتماشية مع ميولاتهم. وهو ما يُؤدّي إلى تقييدهم داخل ما يسمى «فقاعات»، وهي فضاءات آراء مجتمعية وسياسية موجهة.

الأحداث البديلة (*ألترنتيف فاكت*) : وهي كذبة فاحشة وخبر منافي للحقيقة. وهي عبارة استُعملت لأول مرة في يناير 2017 من طرف كاليان كونواي، مستشارة دونالد ترامب، بخصوص تقدير عدد الأشخاص الذين حضروا حفل تنصيب الرئيس الأمريكي.

الأخبار الزّائفة (*فايك نيوز*) : أخبار غير صحيحة ومزوّرة تصاغ بهدف الإساءة، عرّفت بها بالفرنسية ديفيانا فراو-مايجس، أستاذة علوم الإعلام والإتصال، بعبارة «آنفو». وحسب مدوّنة فك الرموز لصحيفة *لوموند* الفرنسية، فإن الخبر الزائف «*يستعير من الصحافة التقليدية رموزها وطريقة تقديمها ليتظاهر بأنه عمل صحفي*».

الخدعة (*هوكس*): خدعة تُنشر عبر قنوات البريد الإلكتروني. وتتمثّل عموما في شائعات وأخبار زائفة مُفزعة أو نداءات كاذبة للتبرّع. والغرض من ذلك يُمكن أن يكون سياسيا أو اقتصاديا (مكافأة بقدر عدد النقرات). هذه العبارة لم تعد مُستعملة كثيرا اليوم، وعُوّضت بعبارة «الأخبار الزّائفة».

ما بعد الحقيقة : هذه العبارة، التي عُيّنت كلمة السنة لعام 2016 من طرف قاموس أوكسفورد البريطاني، تُشير إلى «*الظروف التي تصبح فيها الأحداث الموضوعية أقل تأثيرا في صنع الرأي العام من استغلال العواطف والمعتقدات الشخصية*». ظهرت هذه العبارة في التسعينات، واتسع تداولها أثناء حملات براكسيت الداعية لخروج بريطانيا من الإتحاد الأوروبي وفي الإنتخابات الأمريكية. وهي ترمز إلى خطاب سياسي لم يعد يتمسك بالأحداث الحقيقية، ويُترجم أزمة ثقة الرأي العام إزاء وسائل الإعلام التقليدية والمؤسسات.

الفيروسية : هي ظاهرة الإنتشار السّريع لخبر -صحيحا كان أو خاطئا- عبر الإنترنت والشبكات الإجتماعية. وفيروسية الخبر تعتمد على توصية أحد المستعملين لمستعمل آخر. فهي بمثابة تداول الأخبار همسا بين الأفراد، لكن على نطاق أوسع بكثير.

وجهي، أرضي

نص : كاترينا ماركيلوفا

صور : ماريون لومونيي، بول لومونيي، بيني

يُنشر هذا التحقيق المُصوّر بمناسبة اليوم العالمي للسكّان الأصليين، الذي يُحتفل به يوم 9 أغسطس من كل سنة.

صور أيدانتيتيس بروجكت منشورة بإجازة من «الإبداعات المشتركة» Creative Commons Attribution-NonCommercial-ShareAlike 4.0

شارك شباب زاكموك كازك إلى جانب الكبار، في الأنشطة الإبداعية الجماعية.

بعد رحلة انطلق فيها سنة 2013، دامت خمس سنوات وقطع خلالها عشرات آلاف الكيلومترات عبر القارات الخمس، انتهي المصور الفوتوغرافي الفرنسي بنجامان بيني إلى الإستنتاج التالي : نحن بشرية واحدة. هذه هي الطريقة التي لخّص بها المصوّر ملحمة *أيدانتيتيس* بروجكت وهي مغامرة فوتوغرافية متنوعة قادته إلى جميع أنحاء العالم، من هانوي إلى لاباز، مرورًا بِأكرا، إلتقط خلالها بعدسته وجوها متعدّدة، جمعها في سلسلة صور مؤثرة. يقول باني : «*نذهب بعيدا بحثا عن ذلك الآخر الذي يختلف عنا، وفي نهاية المطاف نجد أنفسنا أمام ذاتنا*».

لنلتحق به في الباراغواي، على *لاروتا ترانسشاكو*، تلك الطريق المتدة على 800 كلم والوحيدة التي تربط بين العاصمة أسونسيون والحدود مع بوليفيا. في سنة 2015، كان مشروع *أيدانتيتيس بروجكت #3* في أوجه. إنطلقت المرحلة الثالثة من البرنامج في أمريكا الجنوبية، وفي هذه المرّة لم يُسافر بيني بمفرده، بل كان مصحوبا بالأخوين لومونيي. كان ماريون وبول يُساعدانه ويُوثّقان الرحلة. وبعد أربعة شهور قضّوها في عبور الشيلي والأرجنتين والأوروغواي، ها هم في سيارة تُقلّهم إلى «*واحدة من أشدّ المناطق عزلة على وجه الأرض*»، وهي العبارات التي وصفت بها ماريون *لوغران شاكو*، ذلك السهل الشاسع والقاحل الذي تتقاسمه البلاد مع الأرجنتين والبرازيل وبوليفيا. وتضيف ماريون: «*كيف لا، وقد سرنا طيلة 14 ساعة قبل بلوغ غايتنا*».

المكان المقصود هو مخيّم زاكموك كازك. وهو، حسب فريق العمل الدولي لشؤون السكّان المحليّين، واحدة من بين 531 مجموعة للسكان الأصليين في شاكو بالباراغواي، كانت تتألّف سنة 2010 من 268 شخصا، موزعين على 66 عائلة. هذه المجموعة الذي يعني إسمها "عدد كبير من الببغاوات الصغيرة"، وقع طردها تدريجيا من أراضي أجدادها منذ نهاية القرن التاسع عشر. وبعد حوالي 30 سنة من الصراع القانوني، حصلت المجموعة بتاريخ 24 أغسطس 2010 على حكم لصالحها من محكمة الدول الأمريكية لحقوق الإنسان، وهو حكم يُجبر دولة الباراغواي على إرجاع 10.700 هكتار من الأراضي إلى زاكموك كازك. واعتمادا على هذا الحكم، ورغم تحفظ الدولة على تنفيذه، عادت المجموعة للإستقرار على أرضها في بداية سنة 2015.

وصلت عدسات *أيدانتيتيس* بروجكت في الوقت المناسب. وكما تروي ماريون، «*فإنهم أتوا للإقامة في هذا الموقع منذ عشرة أيام فقط*». لقد كانت لحظات مُثيرة جدا وكان الجوّ مُكهربا.

و لم يغمر هذه العودة إلى أراضي الأجداد أيّ شعور بالإنتصار ذلك أنهم، حسب تعبير ماريون، «*وجدوا أنفسهم في وضع غير مريح بالمرّة : ينامون تحت الخيام، ويصطادون السمك كي يقتاتوا ويشربون من المياه الرّاكدة*». لقد تضرّرت الأراضي والغابات من جراء تربية البقر المُكثّفة وزراعة فول الصويا، بشكل لا يُمكن إصلاحه في كثير من الأحيان. لقد أصبحت هويّة السكان الأصليين – معتقداتهم، وطرق معيشتهم وممارساتهم الثقافية – المرتبطة وثيق الإرتباط بأرض الأجداد، تعاني محنة قاسية.

كان بيني مكلفا بالجانب الأهم في المشروع : تنظيم ورشة للإبداع المشترك. وليس من قبيل الصدفة أن يضع الأرض كمحور لهذه اللّقطة الفنية. وقد أدت إلى لحظة تقاسم فريدة من نوعها، مشحونة بالتأثّر وبالعمق الروحاني، فسّرتها ماريون بقولها : «*أكّد لنا رئيس العشيرة أن المشروع في غاية الأهمية بالنسبة لكل أفراد المجموعة. كانوا مشغولين بقضية استرجاع أرضهم. وأتاح لهم العمل معنا التفكير في أشياء أخرى، وتركيز اهتمامهم على أنفسهم بصفة مختلفة وجماعية*».

وحسب أوسكار آيالا من المنظمة غير الحكومية *تيارافيفا*، التي مثّلت زاكموك كازك لدى محكمة الدول الأمريكية لحقوق الإنسان في 2010، استعادت المجموعة اليوم 7.901 هكتارا، أي ما يُقارب 73% من الأراضي التي تحقّ لها.

صور مقتبسة من شريط فيديو بعنوان «شاكو»، تقصّ مراحل الورشة الجماعية للإبداع التّشاركي، ابتداء من جمع النباتات وجلب التراب لطلي الرسوم، وصولا إلى عرض الصور ليلا على شاشة من قماش الجوت، للتعرّف على الوجوه.

مشروع لينكس

حسب مجلس شؤون نصفي الكرة الأرضية (*كاونسل أون هيميسفيريك أفارز*)، فإن الباراغواي تُسجّل أسرع و أكبر نسبة إزالة الغابات في العالم. برنامج اليونسكو للمعارف المحلية والأصلية (لينكس) الذي بعث سنة 2002، سمح بالاعتراف على الصعيد العالمي بدور مجموعات السكان الأصليين في المحافظة على التنوّع الطبيعي والتكيّف مع التغيّرات المناخية. و في هذا المضمار، تُعتبر عودة زاكموك كازك إلى أراضيها الأصلية مدعاة للأمل. لأن معارفهم الموروثة، بالإضافة إلى البرنامج الحكومي لإعادة زراعة الغابات في شاكو المُعلن عنه في فبراير 2017، سوف تجعل إعادة تأهيل الأراضي ممكنة.

1

2

سيرافين (1)، نانسي (2)، غستافو (3)، وبنت صغيرة (4)، يحدّقون في عدسة آلة تصوير بيني. وبعد هذا التمرين، يغادر كلّ منهم، محتفظا بصورة الآخر في ذهنه

3

4

صور على طريقة ما يسمّى « الإنصهار »، تجسّد فكرة الإبداع التشاركي.

احتفظ زاكموك كازك بالنسخ الأصلية لكلّ الصور التي أُنتجت في الورشة، لاستعمالها حسب رغباتهم.

في كلّ مرحلة من المشروع، تنتقي أيدانتيتيز بروجاكت صورة لأحد الوجوه، تمزجها بخريطة العالم كرمز لوحدة الإنسانية بكل تنوّعها، لاستعمالها في حملاتها الإعلامية.

وفي الوقت الذي ننشر فيه هذا العدد من *رسالة اليونسكو*، يقوم بيني بجولة في أوروبا، آخر مرحلة من مشروعه. ويكون موعد نهاية هذه الرحلة حول العالم في باريس سنة 2018 بتنظيم معرض من نوع *ستريت غالري* أي معرض مُؤقّت في الفضاء العمومي، مثلما تم تنظيمه في كل مرحلة من مراحل المشروع. وتمثل الصور وورشات الإبداع المشترك العناصر الأساسيّة التي ترتكز عليها معارض *باك تو*، التي تُنظّم عند كل عودة إلى فرنسا. وتُدفع المداخيل المُتأتّية من هذه المعارض، ومن أعمال تحسيسية أخرى مُوجّهة للعموم، لمساعدة التجمّعات المحلية المعنية.

وبعد إنهاء جولته في أوروبا، يرغب بيني في استعادة أنفاسه ليأخذ شيئا من الراحة ربّما تستغرق سنة كاملة. هذا وقد بدأ في التفكير في تأليف كتاب لجمع ما عاينه في القارات الخمس حتى يستوعب، هو ومن ساهم في المشروع، كلّ ما حصل منذ 2013. كما ينوي إعداد شريط طويل وتنظيم معرض كبير يرسم كامل المراحل التي مرّ بها والذي اختار له عنوانا يُعرب عن روح المشروع : «*عالم واحد، شعب واحد*».

لدى عودته إلى باريس، نظّم بيني بالإشتراك مع فريق المشروع، معرضا حول مرحلة بروجكت3# بعنوان « باك تو أمريكا» (عودة إلى أمريكا)، بهدف التعريف بزاكموك كازك.

« التحليق »، عمل للفنان السينغالي انداري لو.

الإنسانوية

أو السبيل إلى إخماد التعطش للإنسانية

آدما ساماسيكو

أمام إفلاس النمط الغربي للتنمية، الذي يُميّز ثقافة الكسب على حساب ثقافة الذات، أصبحنا في حاجة ملحّة لإعادة التفكير في نمط جديد للمجتمع يرتكز على *الإنسانوية*، وهو مفهوم يستكشف الإنفتاح على الآخر، باعتباره السبيل الوحيد للخروج من عالم فقد آماله.

من البديهي القول بأن عالمنا اليوم، يعاني من أزمة مُتعددة الأبعاد لا نرى لها نهاية، ويمرّ بوضع سيء، بل سيء جدا... في الحقيقة، تكشف هذه الأزمة فِقدانا لمعاني الحياة، تضاف إليه نزعة إلى محو تنوع الثقافات في العالم، من جراء عولمة الأسواق المؤدّية إلى تقلّص البعد الإنساني في العلاقات بين الأشخاص والشعوب والدول. إن التحديات المناخية والطاقية والديمغرافية والرقمية بالإضافة إلى التفاوت والفقر، تُعمّق الإحساس بالقلق الوجودي الذي انتشر بكثرة، وبقلّة الثقة في المستقبل.

إن «نمط التنمية» الأوسع انتشارا اليوم والقائم على ما أسمّيه ثقافة «الكسب»، أي ثقافة الربح، قد أظهر حدوده، وما الأزمة الحالية إلا دليل على إفلاسه. هذا «النمط الغربي» هو منبع المركزية الأوروبية والمركزية الغربية التي تتّسم بهما العلاقات الدولية، سواء تعلّق الأمر بالممتلكات المادية أو بالإنتاج الفكري. من هنا، يتحتّم تغيير النموذج بشكل يسمح تطوير القيم المرتبطة أكثر بثقافة «الذات».

وانطلاقا من هذا المنظور دعوت، منذ سنوات عديدة، إلى استكشاف مفهوم جديد، *الإنسانوية*، بالقياس مع «*الزّنجوية*»، تلك النظرية الّتي صاغها الشاعر المارتينيكي إيمي سيزير الذي اعتبره مصدر إلهامي.

© Berette Macaulay

الجانب الأيسر للّوحة المزدوجة «ذاكرة اللّاشيء»، للفنانة بيريت ماكولاي (سيراليون وجمايكا). هذا العمل معروض في ناشيونال غاليري أوف جمايكا، في إطار الدورة 2017 لمعرض الفنون الذي يُقام كلّ سنتين.

وأستعمل عبارة *الإنسانوية* لترجمة مفهوم إفريقي واحد تتعدد تسمياته حسب اللّغات في إفريقيا: *مايا* (بالبامانانكان، لغة شعب البامبارا)، و*نداكو* (بالفولفولدي، لغة شعب بول)، و*بوروتاري* (بالسونغي، لغة شعب سنغاي)، ونيت (بلغة الوولوف)، وأوبونتو (في لغات البونتو)، الخ... وكلها عبارات تعني حرفيا «الصفة الخصوصية للإنسان».

لماذا يجب دعم المجلس الدولي للفلسفة والعلوم الإنسانية ؟

المجلس الدولي للفلسفة والعلوم الإنسانية هو منظمة غير حكومية أُنشئت في بروكسل (بلجيكا)، برعاية من اليونسكو سنة 1949، بهدف التأكيد على أهميّة العلوم الإنسانية في مرحلة ما بعد الحرب. إلّا أن هذه المؤسسة العلمية، التابعة لليونسكو، والتي عاشت فترات من المجد، ضعفت على مرّ الزمن.

وتتيح الندوة العالمية للإنسانيات فرصة للمنظمات الأعضاء في المجلس الدولي للفلسفة والعلوم الإنسانية لتجنيد ممثلي مختلف الإختصاصات من جديد حتى تسترجع العلوم الإنسانية مكانتها في العالم، وكذلك حتّى تلتزم بإعادة تأسيس فعلي للمجلس ليصبح قادرا على استبدال مقاربة المركزية الغربية بمنهج متعدد المراكز ومثمر، يرتكز على التنوّع الثقافي واللغوي في العالم.

وقد سجلنا بارتياح شروع المجلس الدولي للفلسفة والعلوم الإنسانية في إعادة تأسيسه على المستويين الداخلي والخارجي. فمنذ ديسمبر 2015، صادقت الجلسة العامة الإستثنائية التي انعقدت في بيجين على تغيير نظامه الأساسي، بما يسمح لمنظمات مختلفة، مؤسسات وشبكات، بالحصول على صفة الأعضاء في المجلس. كما أنه أصبح بالإمكان توسيع القاعدة الجغرافية للمجلس بفضل إمكانية إنشاء أقسام جغرافية : وهكذا تمّ بعث تمثيلية آسيا-المحيط الهادئ سنة 2016 في الصين. وأخيرا، شهد عدد المنظمات الأعضاء في المجلس تطوّرا ملموسا، إذ انتقل من 12 عضوا سنة 2014 إلى 17 عضوا سنة 2016، مع وجود انخراطين جديدين في الأفق.

ولقد التزم المجلس الدولي للفلسفة والعلوم الإنسانية أيضا ببعث كراسي يونسكو جديدة للإنسانيات، والتي ستكون حاضرة في الندوة العالمية للإنسانيات.

أ.س.

ربط الصلة بين الإنسان والإنسان

«الذات» قبل «الكسب» : هذا هو المبدأ الذي انبنى عليه دوما مفهوم التنمية في المجتمعات الإفريقية. وبصفة أعمّ، تتّسم بعض المجتمعات غير الأوروبية برؤية كونية تُعطي «للذات» مكانة جوهرية في منظومة العلاقة بالعالم، وتتّصف بالبحث المتواصل عن تلافي الصراعات في العلاقات مع الغير، وتخيير العلاقات الهادئة والساعية إلى التوافق مع الآخرين، والإنسجام مع المحيط بالمفهوم الواسع للكلمة. هذا التصوّر للعالم، كثيرا ما شاطره الغرب قبل أن تُهيمن عليه حداثة لا مذهب لها إلّا قواعد السوق، والمادّية، وتراكم الأرباح لصالح الأفراد.

الإنسانوية هي بوابتنا المفتوحة دوما على الآخر، هي علاقتنا كذات بشرية مع الذات البشرية، التي تتطلّب تضامنا مستمرّا، دون حسابات، واندفاعا تلقائيا لقبول الآخر. تلك *الإنسانوية* التي تسمح «بربط الصلة بين الإنسان والإنسان»، حسب العبارة الجميلة لإيمي سيزير، والتي تُؤسس لثقافة «الذات»، مقابل ثقافة «الكسب» التسلّطية التي تُولّد علاقات مُتّسمة بالصراع الدائم، وبالإكتساب، وحتى بالهيمنة.

وفي مداخلة مرموقة خلال منتدى *أوبونتو*، الذي انتظم في جنيف في أبريل 2003، أكّد أستاذي وصديقي البوركيني، جوزيف كي-زربو (1922-2006)، بكل حزم، أن *«الجانب الأهم في هذا العمل الذي دعينا من أجله، هو أن نولي الأولوية في جداول أعمالنا وفي نضالاتنا الإجتماعية العالمية لمفهوم، أو لمسألة، لقضية، لنموذج أوبونتو باعتباره عاملا محوريا وخصوصيا للوقاية من تعميم منطق المتاجرة بالإنسان أيا كان وبكلّ البشر، من طرف الليبيرالية الجديدة الموالية لمجتمع السوق»*.

© Dima Vazinovich

في هذا النص الذي يحمل عنوان "أوبونتو أو الإنسان دواء للإنسان" والذي نُشر في ما بعد في كتاب *دلالات لإفريقيا*- بانافريكا (سيلاكس / نوفال دي سيد، داكار، 2007)، يواصل جوزيف كي-زربو تحليله مشيرا: *«باستطاعتنا أن نجعل من أوبونتو أداة مُجدية للغاية في خدمة هذه المهمّة الأساسية. لكن علينا بالخصوص أن نجعل منه هدفا ومغزى للسلام. فالأمر لا يتعلق بالدفاع عن الثقافات بالمفهوم الأنتروبولوجي ؛ ولكن، أمام الهيمنة الجارفة للفكر الواحد، هناك ضرورة ملحّة لنزع فتيل الصراعات المشحونة بعنف يتغذى من بقاء الأمور على حالها»*.

إنني اليوم، وأمام إفلاس نماذج التنمية الحالية، على يقين من ضرورة التفكير في إمكانية تصوّر مشروع مجتمعي جديد مبني تحديدا على مفهوم *الإنسانوية*.

توثيق الصلة بالعالم على أساس البحث عن علاقات غير عدائية وعن الإنسجام مع المحيط، أمر ضروري لإعادة ربط العلاقات بين الناس من جديد.

ويوفّر الملتقى الدولي لعلوم الإنسان، وهو أوّل ندوة عالمية حول الإنسانيات، الذي سينعقد في لياج (بلجيكا) من 6 إلى 12 أغسطس 2017، فرصة لتعميق هذا المفهوم.

تحتضن لياج، تلك "المدينة المُتوهّجة" بالفكر كما بالصناعة، المدينة متعددة الثقافات في قلب أوروبا، تظاهرة لم يسبق لها مثيل، بسامي رعاية جلالة ملك بلجيكا.

انهيار النموذج السائد

لماذا إذن هذه الندوة الدولية حول الإنسانيات ؟

لازمتني فكرة إقامة هذه الندوة منذ سنة 2009، أثناء الفترة الأولى من توليّ رئاسة المجلس الدولي للفلسفة والعلوم الإنسانية، وهي منظمة غير حكومية أُنشئت برعاية اليونسكو سنة 1949.

وهي فكرة إنطلقت من ثلاث معاينات :

المعاينة الأولى : بعد سلسلة من فترات عدم الإستقرار المرتبطة بالعولمة المالية، تحوّلت أزمة 2008–2009، ولم تكن مجرد أزمة مالية أو اقتصادية، إلى أزمة "شاملة". كانت أزمة مجتمعية كرّست، بشكل ما، إفلاس نموذج التنمية الليبرالي الجديد السائد والمعتمد على المركزية الأوروبية، مُخلّفة فقدانا حقيقيا لمعاني الحياة.

المعاينة الثانية : التهميش المتزايد للعلوم الإنسانية في العالم. فكيف يمكن أن نقبل، أمام ما تستدعيه الأوضاع الراهنة من تساؤلات عميقة، بأن يبقى من لديهم مهمّة إنارتنا حول تعقيد التحولات الإجتماعية في حالة جمود ؟

المعاينة الثالثة : ضعف مشاركة ممثّلي العلوم الإنسانية في المناطق الخارجة عن أوروبا وعن «الغرب»، إن لم نقل غيابهم أو عدم أخذهم في الإعتبار، سواء في الإنتاج أو في التعاون الفكري الدولي. وتتفاقم خطورة هذه الظاهرة مع احتمال زوال المعارف التقليدية ونصف لغات العالم، وهي ظاهرة أصبحنا نعرّفها بعبارات «مُبيد المعرفة» و«مبيد اللّغات».

لهذه الأسباب، بدا لي بديهيا وضروريا أن أقترح على اليونسكو، سنة 2009، تنظيم ندوة دولية للإنسانيات، الأولى من نوعها، بهدف إعادة الإعتبار للعلوم الإنسانية في العالم.

قلق لا يُحتمل

إن المسألة المحورية للندوة العالمية للإنسانيات هي مناقشة دور العلوم الإنسانية في القرن الحادي والعشرين الذي يتّسم بالتنوّع الثقافي، وبإخفاق مختلف أشكال الفكر الأحادي، وبالحاجة إلى إعادة إدخال بعدي الأمد المتوسط والأمد البعيد في التفكير اليومي. قرن تشوبه تغيّرات شاملة، وهجرة مُتفاقمة، واحتقان اجتماعي واقتصادي، وكلها مسائل تخضع حلولها، إلى حدّ كبير، إلى توفّر كفاءات من ثقافات متعدّدة، وإلى تفهّم وحدة الإنسانية في تنوّعها، وإلى الحاجة إلى تعزيز العلوم في علاقاتها مع كافة الإختصاصات، وكذلك مع الفنون والتكنولوجيات.

هو قرن انطلق بتفشي الإرهاب العالمي الذي لم تسلم منه أيّة منطقة في العالم، ولا أيّة بلاد، مُصيبا دون تمييز ولا أدنى إحساس إنساني، مواطنين أبرياء ذهبوا ضحايا عنف مجاني همجي لا يُوصف... قلق لا يُحتمل خيّم على كوكبنا، خاصّة وأن مثل هذا العنف الذي شهدناه أثناء الغارات الإستعمارية أو حروب التحرير، بقي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية بعيدا نسبيا عن الغرب المحمي، في ما عدا بعض الاستثناءات.

إن الهدف الأساسي للندوة الدولية للإنسانيات هو دراسة مساهمات الإختصاصات الإنسانية، أو سبل مساهمتها، على الصعيد الوطني أو الإقليمي أو الدولي، في تقييم واستيعاب التحولات الثقافية في أبعادها الإقتصادية والإجتماعية والبيئية، في ارتباطها بالعولمة المتزايدة للمبادلات، وذلك قصد المساعدة على التعامل مع هذه التحولات بشكل أفضل.

أمام الأزمة المجتمعية والإنسانية التي نعيشها، وأمام عالم مُعطّل يفقد يوما بعد يوم، أكثر فأكثر من طبيعته الإنسانية، فإن الندوة العالمية للإنسانيات تطمح إلى بناء حوار مثمر بين مفكري العصر الحاضر، حول التحديات، والرهانات، والمعارف الجديدة في مجال الإنسانيات، التي تُضفي على عالمنا مزيدا من الوضوح، وتقلّل من غموضه ومن طابعه العدائي القاتل، ليصبح وذلك هو رجاؤنا المشترك، أكثر إنسانية.

فالإنسانيات هي احتفاء بعبقرية لغات الإنسان وهي معرفة لممارساته الكثيرة والمتنوعة سواء كانت اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو فنية...

إعادة الإعتبار للعلوم الإنسانية وتجديد أسسها

«تحديات ومسؤوليات من أجل عالم متغيّر» هو عنوان الندوة العالمية للإنسانيات. يُحدد العنوان بوضوح رهانات هذه الندوة. وحسب اليونسكو، فإن أهم التحديات التي يُواجهها عالمنا في هذه الفترة الإنتقالية هي : تزايد عدد السكان ، وإعادة التوزيع الجغرافي للمناطق، وتدفّق الهجرة، والقيود التي يمليها كل من الطاقة والمحيط، والتنميط الثقافي في ظلّ العولمة... وفي المقابل، هيكلة هويات جديدة، ونشأة المجتمع الرقمي الذي يُولّد في كثير من الأحيان مجتمعا مزدوجا.

في مثل هذا الظرف الموصوم بالشعور بإفلاس نماذج التنمية، وخاصّة منها النموذج الليبرالي الجديد الذي يبدو وكأنه مفروض على شعوب العالم، يتحتّم مراجعة دور العلوم الإنسانية صلب مجتمعاتنا المعاصرة، وهو دور يجب أن يجمع بين اعتبار خصوصيات كل ثقافة ومواردها الذاتية – التي يجب دعمها بالشكل الصحيح – وبين إمكانيات التبادل والتّحاور والإثراء المشترك بينها.

© avec l'aimable autorisation de Liu Jianhua Studio

«يتخبّط عالمنا في أزمة متعددة الأبعاد لا نرى لها نهاية»، ذلك ما أكّده آدما ساماسيكو. «ذي فيرتول سين-شنغهاي ماب»، 2005-2008، خريطة مُجسّمة لشنغهاي أنجزها الفنان الصيني ليو جيانهوا بقطع من العملات الرمزية المستعملة في نوادي القمار، ومعروضة في رواق كونتينوا، سان جيمينيانو، إيطاليا.

© بترخيص ودّي من ليو جيانهوا ستوديو.

تُمثّل إذًا الندوة العالمية للإنسانيات فتحا حقيقيا للآفاق من أجل إعادة الاعتبار للعلوم الإنسانية وتجديد أُسسها، ومن أجل تغيير النموذج القائم حتى نؤسس لعالم آخر مبنيا على احترام تنوّعه الثقافي وثروته اللغوية، ويُمكّننا من استبدال علاقات العداء والتسابق بتضامن كوني حقيقي. وهذا التضامن هو الوحيد القادر على المساعدة على رفع تحديات عالمنا في فترته الإنتقالية.

إجمالا، فإن الأمر يتعلّق بإخماد تعطّش عالمنا للإنسانية، وذلك من خلال ممارسة الإنسانوية وتكريسها !

آدما ساماسيكو (مالي) هو رئيس المنتدى العالمي للإنسانيات. كوزير سابق للتربية الوطنية في مالي، ترأس اللجنة التحضيرية للقمة العالمية لمجتمع المعلومات (جنيف 2002–2003). واحتل آدما ساماسيكو منصب أول سكرتير تنفيذي للأكاديمية الإفريقية للغات الاتحاد الإفريقي، إحدى المنظمات المتخصصة للاتحاد الإفريقي ومقرها باماكو. وبعد قضاء فترتين رئاسيتين في المجلس الدولي للفلسفة والعلوم الإنسانية، بين نوفمبر 2008 وأكتوبر 2014، عين رئيسا شرفيا للمجلس.

ندوة عالمية في ثلاث مراحل

تلتئم الندوة العالمية الأولى للإنسانيات في لياج (بلجيكا) من 6 إلى 12 أغسطس 2017. وتنتظم بالتشارك بين اليونسكو والمجلس الدولي للفلسفة والعلوم الإنسانية ومؤسسة الندوة العالمية للإنسانيات بلياج التي تضمّ المقاطعة والمدينة وجامعة لياج.

وسوف تجمع الندوة حوالي 1800 مشارك قادمين من أوساط علمية وسياسية وجمعياتيّة وإعلامية. كما ستحضرها شبكات هامة على غرار المجلس الأمريكي-اللاتيني للعلوم الاجتماعية والأكاديمية الإفريقية للغات الاتحاد الإفريقي والمجلس العربي للعلوم الإجتماعية.

وأما الهيكلية العامة، فهي متكونة من ثلاث مراحل : ما قبل الندوة، وأثناءها، وما بعدها. وسوف تسمح في الآن نفسه بالتعريف بواقع الإنسانيات في مختلف مناطق العالم وتقاسم كل ما تحتويه من تنوّع ونقاط مشتركة.

- في مرحلة **ما قبل الندوة**، تمّ تنظيم ملتقيات تحضيرية أتاحت للمناطق المعنية بمد هذا الحدث العالمي بإسهامات جيّدة تتضمّن خصوصياتها ومشاغلها : الملتقى الأمريكي الجنوبي «الإنتماء الجغرافي والإنسانيات» في البرازيل (4–7 أكتوبر 2016) ؛ الإستشارة الإقليمية العربية «إعادة الدور المحوري للإنسانيات : نظريات، مقاربات وإنتاج المعارف» في لبنان (18–20 مايو 2017) ؛ الملتقى الإفريقي للإنسانيات «لغات، وثقافات، وتاريخ، ومناطق» في مالي (28 يونيو – 1 يوليو 2017). كما استفادت الندوة من عديد الأحداث الإسهامية : الندوة الدولية «علوم وحضارة في طرق الحرير»، في بيجين، الصين (10–11 ديسمبر 2015)، المنتدى العالمي لثقافة *التايهو*، في ماكاو، الصين (7–9 يونيو 2016)، الدورة الرابعة للمنتدى العالمي للإنسانيات حول موضوع «إنسانيات الأمل» في صواون، الجمهورية الكورية (27–29 أكتوبر 2016)، وأخيرا، في يونيو 2017، لقاءات باريس (لمنطقة أوروبا) وكينغستون (للكاريبيب).
- **أثناء الندوة** (من 6 إلى 12 أغسطس 2017)، ستُخصّص جلسات عامّة إلى المحاور الستّة التي تمّ اعتمادها بالاستناد إلى التحديات الأساسية التي يُواجهها عالمنا في هذه الفترة الإنتقالية : الإنسان والمحيط ؛ الهوية الثقافية والتنوّع الثقافي والتبادل بين الثقافات ؛ الحدود والهجرة ؛ التراث المادّي واللامادّي ؛ التاريخ والذاكرة والسياسة ؛ الإنسانيات في عالم مُتغيّر.

وسيُقدّم أربعة أو خمسة مُحاضرين مرموقين من كافة القارّات، مداخلات حول كل محور من هذه المحاور. كما ستتم مناقشة مواضيع فرعية عديدة في إطار 70 حلقة موزعة على 11 مجموعة من الجلسات الموازية.

في جلستين عامّتين ذات الصبغة الإستراتيجيّة، تُقدم تقارير الندوات الإقليمية ويُفتح الحوار حول مستقبل الإنسانيات ومستقبل المجلس الدولي للفلسفة والعلوم الإنسانية. وفي برنامج الندوة أيضا سبع محاضرات عامّة وحلقة نقاش تجمع وزراء وصانعي القرار السياسي.

ويكون العدد الإجمالي للمتدخلين أكثر من 400 مُتدخّل.

كما سيتم عرض مشروعين هامين سيلتزم بإنجازهما المجلس الدولي للفلسفة والعلوم الإنسانية في المستقبل، وهما التاريخ الشامل للإنسانية والتقرير العالمي للإنسانيات.

- **بعد الندوة**، ستُنظّم في كافة القارات، ندوات إقليمية ووطنية، برعاية هيئات سياسية إقليمية مُختلفة من كل العالم، بهدف تطبيق استنتاجات وتوصيات الندوة. وسيتمّ التأكيد على السياسات العمومية في مجال البحث وخاصّة على ضرورة بعث المنشآت وتوفير التمويلات للبحث في العلوم الإنسانية.

من شأن هذه المنهجية في التنظيم على ثلاث مراحل، أن تجعل من هذا الحدث العالمي فضاء لحوار رفيع المستوى، شاملا وتشاركيا، يساعد على تآزر أفضل بين من يُفكّر، ومن يبحث ويجد الحلول لإخراج العالم من الأزمة، ومن لهم مهمّة اتّخاذ القرارات السياسية.

أ.س.

العلوم الإنسانيّة : أهميّة قصص السّكان الأصليين

© Francesco Giusti / Prospekt (www.francescogiusti.com)

حائط تمّ تزويقه إجلالا لإفريقيا في مدرسة تقع في الحي المعزول تاور هيل، جمايكا.

جون أيوتوندي ايزولا بيواجي

انّ تركيز التعليم على العلوم الدقيقة والتقنيّة باعتبارها مجالات تضمن دخلا مرتفعا، من شأنه أن يهدد شعوب جمايكا ومنطقة بحر الكاريبي في قدرتها على سرد تاريخها وإبرازه، في حين أنه ضروري في نقل المعارف وفي المسار التنموي.

سعت البشريّة جاهدة، منذ القدم، إلى فهم الحياة بجميع أبعادها والعالم الذي يحيط بها. وحتّى تدرك حقيقة محيطها وتتمكن من وصفه، استخدمت البشريّة اللّغة والأدب والفلسفة والتعليم والدين والفنون والتاريخ والأنتروبولوجيا وعلم الآثار وعلم الإجتماع، بل وكذلك الإقتصاد وعلم النفس والإعلام والتنمية والرياضة والنوع الجنسي والماليّة والتجارة والعلوم السياسية والدراسات البيئية ودراسات الإتصال والدراسات الثقافية والقانون. وقد صنّفت بعض هذه التخصصّات كعلوم إجتماعية بسبب الحاجة إلى المصداقيّة العلمية، ولكني على يقين من دورها أيضا في العلوم الإنسانية.

وباستخدام اللّغة، أنتج البشر قصصا خاصّة بهم كانوا يفضّلونها على القصص الآتية من مناطق أخرى. فجميع الحضارات متمسكة بالروايات التي تجسّد ثقافاتها وأنظمتها المعرفية وأنماط العيش التي ابتكرتها.

وقد كان لثلاثة أحداث رئيسية تأثيرا كبيرا على المكانة التي احتلتها العلوم الإنسانية في جامعات الغرب : الثورة العلميّة، الثورة الصناعيّة، والمنطقيات [المدرسة الحديثة لفكر الرياضيات التي أسّسها الفيلسوف الألماني وعالم الرياضيات فريدريك لودفيغ غوتلوب فريغ (1884–1925). وهي نظرية ترتكز على تطبيق قواعد علم المنطق في مجالات خارجة عن المنطق.

وقد ولّد اقتران الثورتين العلميّة والصّناعيّة نظرية الوضعيّة المنطقيّة والقناعة بأنّ كلّ مسعى وراء المعرفة يجب أن يستخدم المنهجية العلمية وإلّا فإنّه يفقد صلاحيته وأهمّيته. وكان لذلك عواقب وخيمة على التراث الفكري لدى المجتمعات غير الأوروبيّة التي كانت تعتبر في كثير من الأحيان بدائية وغير حضارية ووثنية ومتخلّفة. مما أدّى إلى تبرير استيلاء تلك المجتمعات الأوروبيّة على جميع الموارد الإقتصاديّة للمجتمعات المحليّة، من خلال الإستعمار والإسترقاق.

© Cosmo Whyte (www.cosmowhyte.com)

كوسمو وايت الفنان الجمايكي ذو الاختصاصات المتعدّدة، يتساءل عن مفهوم الهوية.

اقتلاع من الجذور

إنّ أسوأ مناهج المعرفة هي تلك التي جعلت من قصص أوروبا (والجزيرة العربية) حقائق كونية، وأحلّتها محلّ روايات المجتمعات الأصليّة في العالم بأسره. وهذا يفسّر جهل الأفارقة بأسلافهم. فهم يستخدمون أسماءَ ولغات وأديانَ وعلومَ وتكنولوجيات غيرهم، إلى درجة أنهم ينسون – بل وفي بعض الأحيان يكرهون – نظم معارفهم الأصليّة، وطرق العيش الخاصة بهم، وقيمهم الروحيّة وفلسفتهم في الحياة، فيتيهون في عالم غريب عنهم.

ويثير هذا الوضع عدّة تساؤلات. أوّلا، أدّى التصنيع إلى عولمة جميع الحقائق. إنّ العولمة أمر لا مفرّ منه، لكنها لا يجب أن تحول دون استغلال شعوب منطقة البحر الكاريبي لتراثها الإفريقي لإضفاء معنى على وجودها والسير نحو حياة حضارية. ليس من الضروري مكافحة العولمة، ولكن يمكن إثراؤها عبر الإستفادة من الثقافات التاريخية الموروثة من الأجداد.

ثمّ إنّ الدعوة إلى تعليم العلوم والتكنولوجيا والهندسة والرياضيات قد خلقت حتميّة مشوّهة ألا وهي اعتبار الاختصاصات الأخرى التي تبدو خالية من الأرباح الملموسة المباشرة للمجتمع، لا فائدة فيها. ففي جمايكا وفي جزر الهند الغربية، جرى التركيز على العلوم والتكنولوجيا والعلوم الإجتماعية في مراحل التعليم الابتدائي والثانوي والعالي. في المقابل، تم تقليص المواد الأخرى مثل الفنون الجميلة والموسيقى والأخلاقيات والتاريخ والثقافة والتراث، إن لم يتمّ حذفها تماما، في جميع مراحل التعليم، بداعي أنّها لا تساهم في التنميّة البشريّة.

وفي جامعة جزر الهند الغربية، وهي جامعة مشتركة بين سبعة عشر بلدا في منطقة الكاريبي، أدّى التركيز على العلوم الدقيقة إلى انحدار جاذبية كليّة العلوم الإنسانيّة والتربويّة إلى أقلّ من 25٪ من مجموع الطلاب، لأنّ مساهمة المواد التي تدرسها في التنميّة الوطنية والإقليميّة لم يتم تقييمها على أساس سليم. وقد نشرت صحيفة *غلينر* الجمايكية عدّة مقالات افتتاحية تطالب فيها الحكومة بالكفّ عن تمويل مواد التاريخ واللغات والفلسفة والفنون. وبدلا عن ذلك، اقترحت الصحيفة التركيز على تلك المجالات التي تمكن جمايكا والمنطقة من الإلتحاق بركب العالم المتفوق في مجال التكنولوجيا. وتمضي الصحيفة قائلة إنه لا داعي إلى معرفة أنفسنا، أو الواقع والمجتمع الذين ننتمي إليهما، أو من كانوا أسلافنا، فبمجرد الحصول على التكافؤ التكنولوجي مع الغرب، سيكون كل شيء على ما يرام.

وتتعلّق المسألة الثالثة بتراجع العائدات الماليّة على المستويات الوطنية والإقليميّة والفردية. فالتعليم، وخاصّة ما يتّصل منه بالإنسانيات، يذهب عادة ضحية التعديلات الهيكليّة. والأسر والأفراد يفضّلون الإستثمار في اختصاصات «قابلة للتسويق والإنتاج وتعزيز سيرة العمل الذاتية»، مثلهم مثل الدول التي تعتبر أنّه ينبغي التركيز على تدريس العلوم والهندسة والطب والتكنولوجيا، اعتقادا منها بأنّ هذه الإختصاصات تزيد من القدرة على الانتاجيّة.

© Francesco Giusti / Prospekt (www.francescogiusti.com)

الهويّة والتراث

إنّ دراسة العلوم الإنسانيّة ضروية لأي مجتمع حتى يتمكن من تثمين قيمته، وبلورة كينونته وتصور هويته في المستقبل. وإن أهمل المجتمع فهم العلوم الإنسانيّة وتقديرها ونشرها، فسيكون عرضة لكل أشكال التعسف، ولتدهور تراثه ولاستيلاء الآخرين على جوهره. وقد أدّى تكبيد الشعب الأفريقي بما يسمّى بداء «مبيد المعرفة» (قتل نظم المعرفة أو تدمير المعرفة الموجودة) وإيهامهم بأن «خزينتهم فارغة»، إلى تجريد أهالي العالم الجديد ذوي الأصول الإفريقية من هوياتهم وتراثهم، ليصبحوا أفرادا مرتبكين ومشوشين. إن تفشي العنف وانعدام الآداب في المجتمع الجمايكي لتعبير على هذا الوضع. وعلى الرغم من تجاوز جمايكا التوقّعات في جميع المجالات، الّا أنّه لا يزال هناك تفضيل عام للتوجّه الأوربي-الغربي.

لقد ذهب التفكير السائد في جامعة جزر الهند الغربية ضحيّة للظروف التاريخية التي دوّنها الأستاذ الجمايكي إيرول ميلر: التبعيّة الإقتصادية للجهات التي تم إلغاء العبودية وتحرير العبيد فيها. هذا هو السبب الذي جعل الجامعة تفشل في تبنّي النماذج التعليميّة السليمة التي تعتمد على تعليم العلوم الإنسانيّة بغض النظر عن المرابيح الفورية والملموسة التي تولّدها.

ما انفكت منظمة اليونسكو تقوم بدورها الرّائد في دعم عالم أكثر إنسانيّة، حيث يتم تثمين قيمة تفعيل العقل والتأمل والتنوّع. لكن، أمام التشبث برفض دفع تعويضات للشعوب التي عانت من أسوإ أشكال اللاإنسانية في تاريخ البشرية من خلال أهوال الاسترقاق الأطلسي، ليس من الغريب أن تبقى بلدان منطقة البحر الكاريبي مستجدية للمساعدات، وعاجزة عن اتخاذ القرارات التي من شأنها إنقاذ مواطنيها من البؤس. وفي ذلك ربما يكمن سبب ارتفاع معدل جرائم القتل في جمايكا وهو من أعلى المعدلات في العالم، بالرغم من كونها مسقط رأس ماركوس موسيا غارفي (زعيم سياسي، ناشر وصحافي، رائد للحركة القومية الإفريقية [1887–1940]) وموسيقى الريغي [نمط من الموسيقى نال استحسانا عالميا]، وحسين بولت، بطل الألعاب الأولمبية في السباق.

الحلّ: تدريب المعلّمين

كيف يمكن تحسين تعليم العلوم الإنسانيّة في جمايكا ومنطقة البحر الكاريبي؟ ينبغي بداية تعزيز مشاريع اليونسكو في مجال تكوين المعلمين وتطويرها، وذلك بتكليف جامعة جزر الهند الغربية بالاضطلاع بدور ريادي في مجال

شبّان أمام لوحة حائطية في تاور هيل، جمايكا.

تعليم العلوم الإنسانيّة. ولا بد من إنشاء قسم أو معهد مخصّص للدراسات الفلسفية، مهمته تكريس التفكير النقدي في العديد من المواد الأخرى، مثل الأعمال والسياحة وحل النزاعات والبيئة.

ومن المهّم أن تدرّس العلوم الإنسانيّة في مؤسّسات التعليم الابتدائي والثانوي وما بعد الثانوي في جمايكا وفي المنطقة، لأنّ لبنات بناء السلام تأخذ مكانها في عقول الناس. لقد تجاوزت الأساليب الثقافية والموسيقية من أصل جمايكي شواطئ جمايكا وأثّرت في العالم بأسره، ولكن لم يبذل أي جهد لنشر هذه التقاليد وتطويرها لدى شباب جمايكا. في حين يجدر استخدام هذه المعرفة لدعم طاقاتهم الإبداعية وتأمين استقلالهم الإقتصادي.

وأخيرا، من المهم أن نفهم أنّ العلوم الإنسانيّة هي ركيزة كل الإنتاج المعرفي – سواء في ما يتعلق بالمعالجة، أو التخزين، أو التجميع، أو النشر أو التطبيق. إنّ البلدان الغنية والقويّة لا تترك تعليم مواطنيها بين أيادي الغير. وبالمثل، يجب على المجتمعات الضعيفة والفقيرة أن تكون على وعي بأهمية إنتاج قصصها المحليّة والسهر على بثّها في المجتمع بطريقة سليمة، وفي ذلك منفعة للإنسانية جمعاء، تكريسا لتنوعها الرائع.

جون أيوتوندي ايزولا بيواجي (جمايكي ولد في نيجيريا) هو مؤلّف لعديد من الكتب، من بينها «القانون والحوكمة في مجتمع ياروبا الأصيل – مقال في الفلسفة الإفريقية».
The Rule of Law and Governance in Indigenous Yoruba Society – an Essay in African Philosophy
كما كان محررا في العديد من النشريّات منها *المجلة الكاريبية للفلسفة* Caribbean Journal of Philosophy (CJP)

الشاعر

في قلب المدينة

تانيلا بوني

الشعر، مثل كل إبداع فني، ركيزة من ركائز الإنسانيات. فهو يسلك دروب العاطفة والإحساس والخيال، وينقُل المعارف والقيم الإنسانية. بل أفضل من ذلك، هو يُشكّل الذات البشرية، جسدا وروحا.

الفن لا يخضع للمنطق. فهو تعبير عن العاطفة والإحساس والخيال. وليس في التجربة الفنية إحالة للحجج ولا للتثبّت ولا للدلائل، بما أنها لا تنتمي للمعارف العلمية. ومع ذلك، فإن الفن، بطرقه الخاصّة، وبعيدا عن المسالك العلمية المألوفة، يلعب دورا أساسيّا في تكوين الفرد : فهو ينقل معرفة العالم وقيما إنسانية ضرورية للانفتاح على الآخر. وبذلك، يُقيم الفن روابط قويّة بين الناس، تتجاوز اللغات والمُعتقدات والثقافات. ولهذا السبب، يمكن اعتبار الفن ركيزة من ركائز الإنسانيات.

زمن الإنسانيات

تشمل الإنسانيات، وهي مواد متواجدة بكثرة في البلدان الناطقة بالإنجليزية، الإختصاصات الأدبية واللغوية والفلسفية والتاريخية والفنية، وكلّها تمنح للإنفتاح الذهني ولحياة البشر مكانة ممتميّزة في المجتمع.

في عديد الدول الناطقة بالفرنسية، دخلت هذه الكلمة إلى عالم النسيان، أو تكاد، ماعدا في بعض الأوساط الجامعية. في حين كان الكلّ يتعلم الإنسانيات في النظام التربوي الفرنسي سابقا، ويعني ذلك الإلمام بالآثار الكلاسيكية، ودراسة اللغات القديمة، وقراءة هومار وفيرجيل وغيرهما من المؤلفين القدامى، واكتساب نظرة واسعة عن الإنسان في الحضارات الأخرى من حيث طبيعة كيانه وطرق عيشه وكلامه.

وفي مناطق أخرى من العالم، في الثقافات الإفريقية مثلا، يُوجد ما يُعادل تعلّم الآثار الكلاسيكية ويتمثل في فترة التلقين حيث يتمّ نقل المعارف الموروثة من العهود القديمة إلى الفتيات والفتيان، لمساعدتهم على العيش في الزمن الحاضر. ذلك هو زمن الإنسانيات.

لكل عصر ولكل ثقافة أدب كلاسيكي، تلك النصوص التي لا مفرّ من دراستها. ويحظى فيها الشعر دائما بمقام متميّز. دائما، ما عدا في زمننا هذا : إذ أصبحنا نميل إلى نسيان وجود الشعر، في عالم فقد أحلامه. وأودّ التعمّق في هذا الموضوع بالذات لأحبط هذا النسيان وأبيّن كيف أن الشعر هو جزء لا يتجزّأ من الإنسانيات.

وقع الشعر

لا يُوجد مجتمع بدون شعراء. حتّى إن كانت عملية الإبداع تتمّ في الوحدة، فالشعراء لا يعيشون في عزلة. هم ليسوا بالزهّاد المنغلقين في قصرهم العاجي. إنهم يبتكرون عالما يتقاسمونه مع غيرهم. وسواء كانت قصائدهم مكتوبة أو مُغنّاة، فإن للشعراء دورا تربويّا بالغ الأهمّية.

اعتبر فلاسفة اليونان القديمة أن الشعر يُجسّد تجربة للتعلّم وأنه يمنح ثقافة عامة تسبق كلَّ تخصّص علمي أو سياسي. كانوا مُتيقّنين من مدى أهمّية حفظ هومار وشعراء آخرين في تكوين العقل لدى الشباب اليوناني الحر (أولئك الذين لم يكونوا عبيدا ولا دخلاء). ولهذا السبب، عبّر أفلاطون في كتابه *الجمهورية* عن قلقه من الفكرة السيئة التي كان يُعطيها هومار عن الآلهة في قصائده، ممّا أدى به إلى إقصاء الشعراء من المدينة.

التقاسم الحسّاس

وما كان يعيبه أفلاطون على الشاعر يكمن دون شك في ماهية الشعر وفي ما لا يُمكن للشعر أن يكون.

لكن من الذي يمكنه أن يحدّد، اليوم كما بالأمس، ما هو الشعر ؟ فالتّعريف الذي قدّمه الكاتب الأرجنتيني جورج لويس بورجس للشعر على أنه «*تعبير للجمال بواسطة كلمات تمّ نظمها بفن*» يمكن، دون شك، إدراجه في قاموس، لكنه يبقى «ضعيفا». إذ يُضيف بورجيس أن الشعر «*يتناول حقائق على درجة من العمق حتى أنه يتعذّر التعبير عنها إلّا بواسطة رموز يتقاسمها الجميع*».

© Ernest Pignon-Ernest, avec l'aimable autorisation de la Galerie Lelong & Co.

اجتاح هذا الرسم لمحمود درويش (1941-2008) جدران مدينة رام الله سنة 2009، حيث كان يُقيم الشاعر الفلسطيني. وهو من تصميم الرسّام الفرنسي أرنست بينيون-أرنست. يقول الكاتب الفرنسي أندري فالتار عن محمود درويش: «لن تنفكّ كلماته تدقّ كأجراس الخطر، تُدوّي، وتُلهم، وتحمّس، وتُنذر».

وُجد الشعر كي يكون مادّة للتقاسم الحسّاس. وهكذا يُساهم في تكوين الذات البشرية : جسدا وروحا. فعندما يسلك دروب العاطفة والإحساس والخيال، ينقل الشعرُ المعارف والقيم الإنسانية، ومفهوم الخير والشر، والتاريخ، والأحداث البارزة للنساء والرجال، والتقاليد القديمة، والصلة بالطبيعة.

وإذا كانت هذه المعرفة تعني إيقاظ الأحاسيس بواسطة ابتكار الجمال في اللغة وبالكلمات، فهي تعني أيضا تنمية الخيال والذاكرة. هي تألّق للجسد ولِكل المَلَكات. لأن الشكل – في ما يُقال وفي ما يُكتب – يكتسي نفس أهمية المعنى أو «الرسالة». وكما يقول بول فاليري في *إيغو سكريبتر* : «*إن هدف الشاعر ليس إبلاغ فكرة وإنما خلق حالة عاطفية عند الغير عبر فكرة موازية تناسب حالته (دون أن تكون مطابقة لها). وليس للفكرة بذاتها إلاّ دورا جزئيا لدى الشاعر كما لدى غيره*».

بوجوده، رغما عنه، في واقع عالم غامض، ما فتئ الشاعر «يُجازف في الإبداع»، حسب تعبير الكاتب الفرنسي ألبير كامو في خطابه «الفنان وعصره» (أوبسالا، السويد، 14 ديسمبر 1957). من خلال هذه المجازفة الخلّاقة، سعيا لإنقاذ الحياة من المخاطر التي تهددها من كل صوب، أو للتعبير عن فرحة الحياة، يسترجع الشاعر موقعه في قلب المدينة.

تانيلا بوني (ساحل العاج) شاعرة وروائية وفيلسوفة ومؤلّفة كتب للشباب، وهي أستاذة بجامعة فيليكس هوفوات-بوانيي بأبيدجان ونائبة رئيس الجامعة الدولية لجمعيات الفلسفة. وهي أيضا عضوة بأكاديمية العلوم والفنون والثقافات الإفريقية والإفريقية في المهجر.

جيوسيبينا نيكوليني، الرئيسة السابقة لبلدية لامبادوزا، إيطاليا.

© Rocco Rorandelli (terraproject.net)

جيوسيبينا نيكوليني :

الإستقبال ميزة طبيعية لكلّ جزيرة

أجرت الحوار مارينا فورتي، صحفية إيطالية

جيوسيبينا نيكوليني، محافظة بلدية لامبادوزا من مايو 2012 إلى يونيو 2017، تلك الجزيرة الإيطالية الصغيرة الواقعة جنوب صقلية، تواجه بشجاعة أزمة مأساوية تعد من أعسر الأزمات التي عرفها حوض البحر الأبيض المتوسط في السنوات الأخيرة، ألا وهي توافد آلاف المهاجرين الهاربين من الصراعات ومن الفقر. تروي لنا جيوسيبينا نيكوليني كيف تعامل سكان الجزيرة وعددهم 6500 نفر، مع هذه المحنة الإنسانية، بفضل روح التضامن واحترام الكرامة البشرية. لقاء مع «اللّبوة» كما يلقبها الإيطاليون.

قبلت جائزة فيليكس هوفوات-بوانيي للبحث عن السلم التي أسندتها لك اليونسكو في أبريل 2017، باعتبارها «*تكريما لأرواح لا يُحصى عددها، نهبت ضحية تجارة الرق في البحر الأبيض المتوسّط*». ماذا تقصدين بذلك ؟

أعتقد أنه من باب النزاهة والإنصاف أن تُهدى هذه الجائزة للمهاجرين الذين هلكوا وهم يعبرون البحر المتوسط، لأن المأساة الإنسانية التي نشهدها في المتوسط هي في حقيقة الأمر حربا صامتة. المهاجرون مُرغمون على الرحيل : بحكم الحرب والفقر وبسبب سياساتنا، كما تدفعهم لذلك الجريمة المُنظّمة التي تستغلهم لمصالحها، فاليائسون لا يجدون سبيلا أمام الأبواب المُغلقة غير تلك التي يفتحها لهم المُهرّبون.

في الوقت الرّاهن، تقام جدران جديدة، وتُبرم اتفاقيات جديدة مع مختلف دول إفريقيا الشمالية الهدف الوحيد منها هو وقاية حدود أوروبا وليس الحفاظ على حياة الشبان والفتيات الذين يسعون لبلوغ شواطئنا. وتأتي هذه الجائزة لتذكّرنا بوجود أوروبا مُتضامنة، وبأن القيم الإنسانية وحسن الضيافة لم تندثر في ربوعها.

مع ذلك، وأمام تدفّق المهاجرين، كثيرا ما يتمّ الحديث عن «غزو»...

الإستقبال هو ميزة طبيعية لكلّ جزيرة. وأنا مُصرّة على التذكير بذلك. وهذا ما قامت به أيضا جزيرة لاسبوس باليونان. وقد يعود ذلك إلى موقعنا الجغرافي : فالطريق التي يسلكها المهاجرون تمرّ عبر لامبادوزا. رغم أنه، في الحقيقة، ما كان لهذا المسلك أن يكون ممكنا لو لم تقع جزيرتنا في منتصف الطريق.

لا أعرف ماذا عسى أن يفعله آخرون لو كانوا متواجدين هنا، في اللحظة التاريخية التي تشهد توافد ذلك العدد الهائل من الأشخاص في حالة فرار. وكل من يُفكّر في "صدّهم" هو، بكل بساطة، يعيش في عالم آخر ويجهل قانون البحر : فالصدّ مستحيل. إن النظر إلى الوضعية عن قرب يُساعد على التفهّم ويُوقظ حسّنا بالمسؤولية. هنا على عين المكان، نشاهدهم عندما يصلون : أناس مُنهكون، مُرتعدون، مُروّعون، حفاة. من بينهم أطفال ونساء حوامل. ونفهم في الإبان أنهم قاموا بالرحلة لأنه لم يكن لهم خياراً آخر. وفي كل الحالات، ليس لدينا حلّا بديلا : فبالنظر إلى ما خصّنا به كلّ من التاريخ والجغرافيا، ما علينا إلا أن نستقبلهم.

لقد عشنا في لامبادوزا لحظات مُؤلمة جدا. أمام حادثة 3 أكتوبر 2013، التي أودت بحياة 386 شخصا غرقا، على من سنُلقي اللوم : على الموتى ؟ ففي مثل تلك اللحظات، نُدرك جيدا من هم الضحايا، وما هي الوفيات المتأتية عن أوضاع جائرة.

ليست هذه المرّة الأولى التي تعيش فيها لامبادوزا أوقاتا عصيبة...

فعلا. فلقد عشنا فترات صعبة جدّا سنة 2011، عندما أجبرت الأحداث في تونس عديد الأشخاص على الهروب. وقد قرّر وزير الخارجية آنذاك، روبرتو ماروني، الإبقاء على المهاجرين في لامبادوزا، معتبرا أنه لا يمكن لهم الدخول إلى إيطاليا. ولم يبق لنا من خيار إلّا أن نعيدهم إلى وطنهم من هنا. لكن إجراءات العودة بطيئة، وخلال شهرين، بلغ عدد الذين حلّوا بيننا 25.000 شخص، أي أربعة أضعاف عدد سكان الجزيرة.

كيف كان ردّ فعل سكّان الجزيرة ؟

مراكز الإستقبال تجاوزت طاقتها. وكان المهاجرون في وضعية غير إنسانية، يُعانون من البرد في الشوارع. لكن وصف هذه الحالة بالإستعجالية كان مخطئا، لأن عدد 25.000 شخص يُعتبر هيّنا بالمقارنة مع ما نشاهده اليوم. وإذا تمّ توزيعهم على كامل التراب الإيطالي آنذاك، لأصبح التحكّم في الوضع ممكنا. لكن إبقاءهم في لامبادوزا هو الذي ولّد الأزمة.

في تلك السّنة، تكبّدت الجزيرة خسائر فادحة. وانهارت السياحة، والحال أن اقتصاد لامبادوزا يعتمد على النشاط السياحي. ورغم تلك الظروف، كان التضامن سيّد الموقف. وحاول أهالي لامبادوزا تقديم المساعدة، ووزّعوا الأغطية والمؤونة. لقد لعب المواطنون دور الدولة. أما الاحتجاجات، عندما حدثت، فإنها كانت مُوجّهة للحكومة الإيطالية وليس ضد التونسيين.

© Federica Mameli / SOS Méditerranée

عملية إغاثة لجمعية س.و.س. المتوسّط التي تقاسمت مع جيوسيبينا نيكوليني، جائزة هوفوات-بوانيي للبحث عن السّلم، المسندة من قبل اليونسكو

في حال حدوث أزمة اقتصادية خطيرة، من السهل أن يتم اتّهام المهاجرين بكونهم العدو المشترك. وفي ذلك نوع من التضليل للتستّر على المسؤوليات السياسية لأولئك الذين اختاروا منوالا للتنمية خال من العدالة والمساواة، في ظرف ازداد تعقيدا من جراء العولمة. وفي التاريخ موعظة : إتهام عدوّ أجنبي يساعد على تعزيز السلطة السياسية الداخلية، وليس على دعم الوعي المدني والإحساس بالانتماء إلى شعب.

المنظمات غير الحكومية مُتّهمة اليوم بكونها أصبحت عاملا جذّابا للمهاجرين.

فعلا. وقع توجيه مثل هذه التّهمة إلى المنظمة الفرنسية غير الحكومية *س.و.س. المتوسّط*، التي أتشرف بتقاسم جائزة فيليكس هوفوات-بوانيي معها. لكن الذين ينتقدون هذه المنظمات ينسون أنها نزلت إلى الميدان لملء فراغ.

فبعد مأساة 3 أكتوبر 2013، شاهدنا كوارث أخرى، أكثر خطورة أحيانا : في أبريل 2015، لقي ما بين 500 و700 شخص حتفهم بسبب غرق سفينة واحدة. في 2013، انتقل القادة الأوروبيون على عين المكان، وكانوا مُتأثّرين. أنريكو لاتا، الوزير الأول الإيطالي آنذاك، ركع أمام توابيت الأطفال البيضاء. كما أطلقت الحكومة الإيطالية عملية *ماري نوستروم*، وهي الأولى التي تكتسي رسميا طابعا إنسانيا، وفي ذلك شرف لبلادنا. هذه العملية دامت سنة. وحيث أن تكلفتها كانت باهظة، طلبت إيطاليا مساعدة شركائها الأوروبيين.

لكن المعارضة كانت تامّة. فلقد وُجّهت لعملية *ماري نوستروم* تماما نفس التُّهم التي تُوجّه اليوم إلى المنظمات غير الحكومية، أي أنها تعتبر عامل جلب، إن لم نقل شريكا غير مباشر في التجارة بالبشر. وتلت هذه العملية الإنسانية عمليات أخرى مثل *فرونتاكس* وتريتون وكانت أهدافهما أمنيّة أكثر من أن تكون إنسانية، لصالح الاستخبارات ومكافحة الإجرام.

بعد ذلك، ومنذ السداسي الثاني لسنة 2016، توقّفت كل البرامج، بما فيها تدخّلات بعض الدول الأوروبية التي كانت تقوم بها في إطار *فرونتاكس*. فوجدت إيطاليا نفسها وحيدة من جديد، مع البحرية العسكرية وزوارق حرس الحدود : وإذا بنا نعود إلى ما قبل *ماري نوستروم*. وأمام ازدياد عدد الوفيات، تملأ المنظمات غير الحكومية هذا الفراغ المؤسساتي.

بالنظر إلى ما يُعرف عنك من وثيق الصلة بالمجتمع المدني ومن قناعة بوجوب حماية البيئة، ومنها بالخصوص معارضتك للمضاربات العقارية، ما الذي دفعك للترشح لرئاسة البلدية في تلك الفترة الصعبة ؟

هذه النضالات ولّدت حركة ديمقراطية مُتكوّنة من قوى المجتمع المدني، وهي التي طلبت مني تقديم ترشّحي على أساس برنامج للحدّ من التدهور البيئي والمجتمعي الذي تُعاني منه الجزيرة. فلقد كانت لامبادوزا مهمّشة جغرافيا واجتماعيا، مدارسها في حالة يرثى لها وشبابها مُجبر على الهجرة.

19.000 شخص تمّ إنقاذهم في 15 شهرا

صرحت صوفي بو، المؤسسة المشاركة ونائبة رئيس *س.و.س المتوسّط*، وهي تتسلّم جائزة فيليكس هوفوات-بوانيي : «*نحن سعداء للغاية بتقاسم هذه الجائزة مع جيوزي نيكولليني. قصدناها لمقابلتها في لامبادوزا سنة 2015. ولمّا عرض عليها كلاوس فوجل فكرته في استئجار قارب إنقاذ مدني، أجابته* : «*مشروعك جنوني، لكني معك*».

«*لا يمكن أن نقبل بموت البشر تحت أعيننا، على أبواب أوروبا، دون أن نحرك ساكنا.*» هذا الموقف هو الذي كان نقطة انطلاق تأسيس *س.و.س المتوسّط* في مايو 2015 من طرف كلاوس فوجل، القائد في البحرية التجارية الألمانية، وصوفي بو، الأخصّائية في البرامج الإنسانية، وهي جمعية أوروبية غير حكومية للإنقاذ في أعماق البحار.

ويغطي نشاط الجمعية البحر الأبيض المتوسط الذي يعبره آلاف المهاجرين واللّاجئين، هروبا من الحروب ومن المجاعة، ساعين للوصول إلى الشواطئ الأوروبية. وفي ذلك مخاطرة بحياتهم : فلقد هلك في البحر ما لا يقل عن 46.000 شخص منذ حوالى خمسة عشر سنة.

وتعمل الجمعية، التي ترتكز على القيم التقليدية للمساعدة المتبادلة بين روّاد البحر، بالتعاون الوثيق مع السلطات الإيطالية المُمثّلة في مركز التنسيق للإنقاذ في البحر بروما.

أما عن الوسائل فتتمثّل طبعا في *الأكواريوس*، سفينة يبلغ طولها 77 مترا وتحمل على متنها طاقما ب11 شخصا، وفريقا طبيا من جمعية *أطباء بلا حدود*، وفريقا من رجال الإنقاذ من *س.و.س المتوسّط*. أي أن العدد الإجمالي للأشخاص المُجنّدين يبلغ حوالي الثلاثين، لطاقة استيعاب لا تقلّ عن 500 راكب، بل تفوقها أحيانا .

وخلال خمسة عشر شهرا من العمليات في عرض السواحل الليبية (من فبراير 2016 إلى مايو 2017)، أسعفت الجمعية أكثر من 19.000 شخص. وكان أغلب الناجين قادمين من جنوب الصحراء الإفريقية، وخاصة من إفريقيا الغربية ومن القرن الإفريقي، ولكن أيضا من بنغلاديش ومن سوريا وليبيا وباكستان وفلسطين.

عملنا بجهد كبير، ومازال ينتظرنا عمل كثير، لكن جزر الأرخبيل تعلّمت من جديد مسايرة الحياة. وقد استثمرنا في النقل وفي التصنيف الانتقائي للنفايات وفي الطاقة الشمسية وفي المدارس : لم يكن لدينا غير المعهد العلمي، واليوم أصبح لنا أيضا معهد لإدارة الفنادق.

أنا على قناعة بأن مستقبل جزيرة مثل لامبادوزا مرتبط بالمستقبل الجيوسياسي للبحر الأبيض المتوسّط : نحن نطمح بأن يتحوّل هذا البحر إلى مركز مبادلات بالمفهوم السياسي والثقافي. لكن، وقبل أن نصل إلى تحقيق ذلك، لا يمكن استعمال الأراضي كسجون للمهاجرين، وهو ما كاد أن يقع في لامبادوزا.

يجب أن نُنمّي تقاليد الإستقبال إلى أرقى معانيها : جزر مُؤهّلة لاستقبال السفن ولتقديم المساعدات الأوليّة للمهاجرين قبل نقلهم إلى مركز ثان للإستقبال، مع اجتناب الطرق الاستعجالية. من هذا المنطلق، ومثل ما لاحظناه، يصبح التعايش بين الهجرة والسياحة ممكنا، ومن ثمّ يمكن للجزيرة أن تزدهر.

أتمنّى، بكل صدق، أن تكون الجائزة التي منحتها اليونسكو إليّ شخصيا وإلى *س.و.س المتوسط* حافزا لمبادرات أخرى : إنّ النموذج الذي قدّمناه يُبرهن على القدرة الكبيرة التي تكنّها الأراضي الصغيرة.

جيوسيبينا نيكوليني، أصيلة لامبادوزا، تحظى بالإعجاب لمدى شجاعتها وحسها الإنساني. هذه المناضلة في مجال حماية البيئة نجحت سنة 1997 في أن يتمّ تصنيف شاطئ الأرانب كمخزون طبيعي. كرّست فترة توليها رئاسة بلدية لامبادوزا، من مايو 2012 الى يونيو 2017، للنضال من أجل تحسيس الإيطاليين والأوروبيين بأزمة المهاجرين. كما حصلت سنة 2016 على جائزة سيمون دي بوفوار، التي أسستها الكاتبة جوليا كريستيفا، اعترافا بكفاحها.

أسكافوسا فريق تشكّل في مارس 2009. أسّس فضاء « م » حيث تُعرض بصفة مستمرّة الأشياء التي أتلفها المهاجرون على متن القوارب.

© Camille Millerand / Divergence (www.camillemillerand.com)

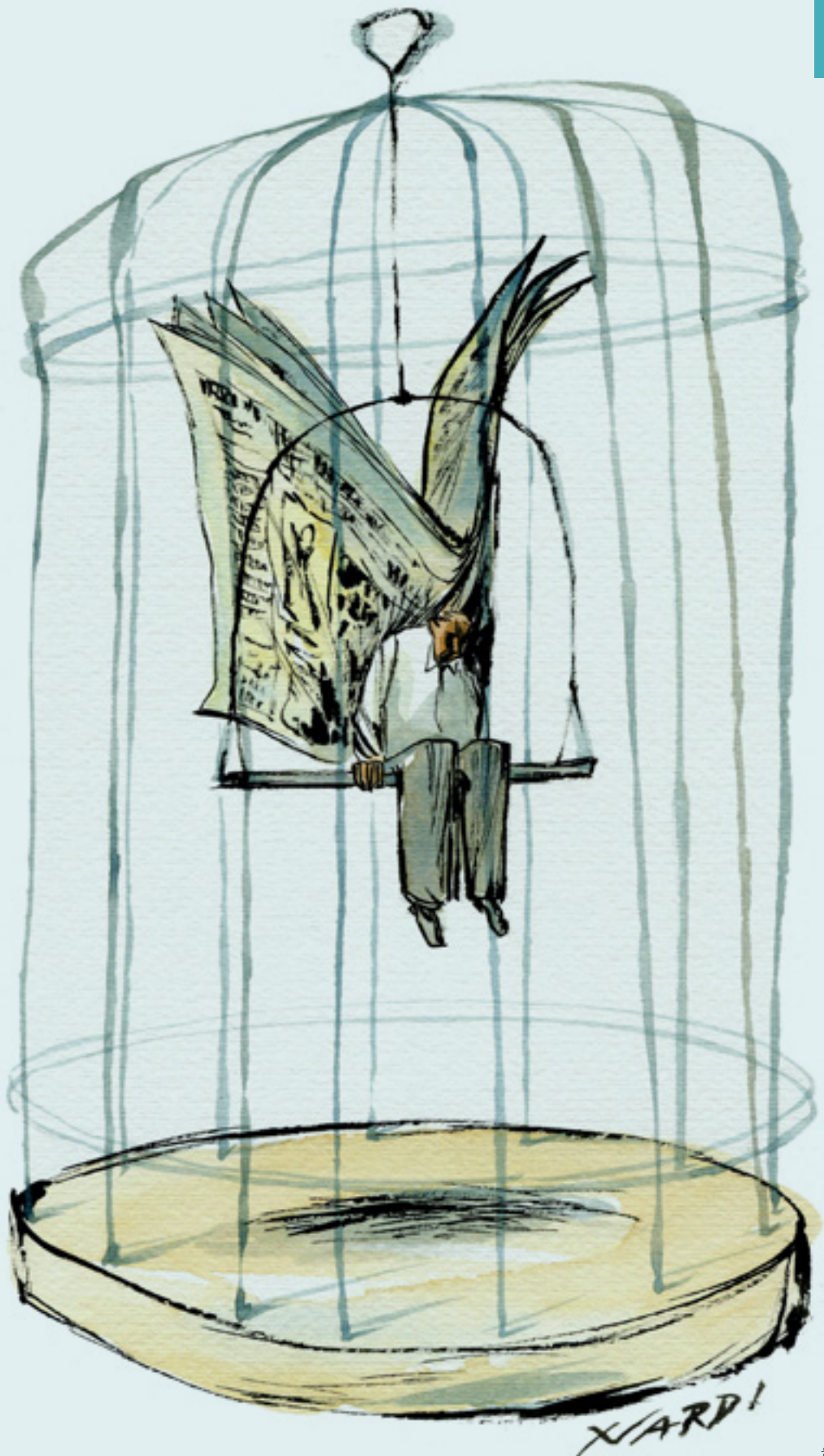

رسم لناردي، أُنجز في إطار كارتونينغ فور بيس، وهي شبكة دولية لرسّامي الصحافة الملتزمين، تحظى بدعم اليونسكو.

داويت إسحاق، سجين

جريمتُه حرية الرأي

ناتالي روتشيلد

أحرز داويت إسحاق على جائزة اليونسكو/غيلارمو كانو العالمية لحريّة الصحافة لعام 2017. وهو صحفي سويدي-إريتري تم اعتقاله سنة 2001 في إريتريا، وغابت أخباره منذ 2005. تقول أسرته إنّ هذه الجائزة قد أحيت الأمل من جديد في إطلاق سراحه قريبا.

© Kalle Ahlsen

صورة لداويت إسحاق تعود إلى 1987-1988، بعد فترة وجيزة من وصوله إلى السويد.

مضى نحو ستة عشر عاما منذ أن اعتقل الصحفي والكاتب المسرحي والمؤلف، داويت إسحاق، دون محاكمة، في إريتريا، بلده الأصلي. وأصبحت صورته التي تم التقاطها في أواخر الثمانينات، رمزا دوليا للنضال من أجل حريّة الصحافة وحريّة التعبير. وقد نال إسحاق جائزة اليونسكو/غيلارمو كانو العالمية لحريّة الصحافة لعام 2017.

وعلى مرّ السنين، ساعدت المبادرات الدبلوماسية لخمس إدارات في السويد بلده الثاني، وحملات الضغط الدولية، وجهود المجتمع المدني، والنداءات الموجهة من عدة شخصّيات، على إبقاء هذه القضّية في الأذهان. كما صنفت منظمة العفو الدولية داويت اسحاق "سجين رأي"، ودعت إلى الإفراج الفورى وغير المشروط عنه. إلّا أنّ النظام الإريتري بقي أصمّا ولم يسمح له لا بمحاكمة عادلة ولا بأيّ اتصال بالعالم الخارجي، باستثناء الإفراج المؤقت عنه في عام 2005.

ولد داويت إسحاق في 27 أكتوبر 1964، خلال السنوات الأولى من حرب التحرير الإريترية التي استمرّت ثلاثين عاما (من سبتمبر 1961 إلى مايو 1991). نشأ في مدينة أسمرة مع إخوته الخمسة وكان والداه يديران مطعما ايطاليا صغيرا.

لما كان في العشرين من عمره، احتدّت المعارك بين جبهة التحرير الشعبية الإريترية والجيش الأثيوبي، وسحب الإتحاد السوفيتي دعمه للحكومة الأثيوبية. فقرر إسحاق الفرار للإلتجاء في السويد في عام 1987 حيث باشر كعامل تنظيف.

«لا تنسى جذورك»

ظلّ إسحاق ملتزما بالنضال من أجل إريتريا حرّة وديمقراطية، حسب شقيقه الأصغر أساياس: *«ليس لدي الكثير من ذكريات الطفولة المبكرة مع داويت، حيث كان يكبرني بعشر سنوات. ولكن حين بلغت سنّ المراهقة، كان يلقنني هنا في السويد، لغة «تغرينيا» وهي اللّغة الرسمية الإريترية. كان يقول لي مرارا وتكرارا : «لا تنسى لغتك وبلدك وجذورك». كانت الثقافة والهويّة مهمّة بالنسبة له. وفي الوقت نفسه، كان يحترم المجتمع السويدي ويتكّيف مع الحياة هنا».*

وفي عام 1993، بعد سنة من حصوله على الجنسيّة السويديّة، عاد إسحاق إلى إريتريا إبان حصولها على الإستقلال، حيث تزوّج وأصبح لديه ثلاثة أطفال – شقيقان توأم هما يوروم وبيتليهم، وبنت إسمها دانيت، تصغرهما بأربع سنوات.

© Presidential Palace Press Bureau

بيتليهم إسحاق، ابنة داويت، في مراسم إحياء اليوم العالمي لحرية الصحافة في جاكرتا (أندونيسيا)، في مايو 2017.

تقول بيتليهم إسحاق، التي تبلغ الآن من العمر 23 عاما : «*إحدى ذكرياتي الأولى لأبي هي تعليمه لي ولأخي القراءة والرياضيات، كنّا في سنّ الرابعة. كان حريصا علي أن نتعلّم تاريخنا ونكتشف العالم من حولنا، بالرّغم من أنّه لم يكن دائما معلّما ماهرا ، لكنه كان يحاول قصارى جهده. لقد كان والدا فائق الإعتناء*».

أول صحيفة مستقلّة

في أواخر التسعينات، بدأت الجهود المبذولة لتحرير المجتمع الإريتري تجني ثمارها. وأصدرت البلاد قانونا جديدا يسمح بالملكيّة الخاصّة لوسائل الإعلام المطبوعة. فاستغل داويت إسحاق هذه الفرصة لتأسيس أوّل صحيفة مستقّلة في إريتريا أطلق عليها عنوان سيتيت وهو إسم النهر الوحيد في إريتريا الذي يتدفق على مدار السنة. وقال هارون برهاني، الذي شارك في تأسيس الصحيفة : «*أردنا أن تكون صحيفتنا مثل النهر الذي* لا يجف».

أصبح داويت إسحاق صحفيا قديرا يكتب بغزارة في الشؤون الثقافية والمحلّية. الّا أنّه لم يمض وقت طويل حتى اندلعت اشتباكات جديدة بين أثيوبيا وإريتريا، واضطّر إسحاق للمغادرة الى السويد، حيث لحقته زوجته مرفوقة بالأطفال.

وبالرغم من عدم استقرار الوضع السياسي في إريتريا، قرّر إسحاق العودة سنة 2001. لكنه سرعان ما دخل في مواجهة خطيرة مع الحكومة حين نشرت صحيفة سيتيت رسالة مفتوحة إلى الرئيس الإريتري. وبعد بضعة أشهر، تمّ منع جميع الصحف المستقلّة، وزجّت السلطات في السجن بأحد عشرة من الموقعين على الرسالة من بينهم كبار السياسيين، وعشرة صحفيا من بينهم داويت إسحاق.

جرت الإعتقالات بعد أسابيع قليلة من وقوع هجمات 11 سبتمبر الإرهابية في الولايات المتحدة. يقول أسایاس : «*إن العالم تغيّر تماما منذ ذلك الحين وغاب عن داويت الكثير من الأحداث. في بعض الأوقات، أخشى عليه من النسيان، ومن الملل الذي قد يؤثر سلبا على الجهود المبذولة لتحريره. وفي أحيان أخرى، أشعر بأن شيئا ما سوف يحدث*». ويضيف : «*لديّ إحساس بعودة الأمل، لأن الجائزة العالمية لحريّة الصحافة التي منحتها اليونسكو لشقيقي، من شأنها أن تجلب اهتمام الأمم المتحدة لحالته*».

من جهتها، صرّحت سيلا بينكو، المديرة العامّة للإذاعة السويدية ورئيسة لجنة تحكيم الجائزة العالمية لحرية الصحافة 2017: «*أعتقد أن هذه الجائزة تبعث برسالة صارمة وهامّة بخصوص الوضع الذي يعاني منه داويت إسحاق. لقد تمّ اعتقاله دون أي اتصال مع أقاربه ودون محاكمة. انّها حالة غير مقبولة على الإطلاق*».

© Henry Gylander

أين الحق في المحاكمة ؟

قبل أيام من مراسم تسليم جائزة اليونسكو التي أقيمت في جاكرتا بأندونيسيا بالتزامن مع اليوم العالمي لحريّة الصحافة في 3 مايو 2017، أعلنت اللجنة الإفريقية لحقوق الإنسان والشعوب أنها ستتولّى الدفاع عن قضّية إسحاق. ويأتي هذا القرار بعد أن قدّم محامو إسحاق طلبا إلى اللجنة، يستند إلى مبدأ *هابياس كربوس* (الحضور أمام المحكمة)، وهو مبدأ يضمن للموقوف المثول السريع أمام القضاء حتى يحسم في شرعية إيقافه. وفي حين قبلت السلطات الإريترية بهذا المبدأ، إلاّ أنّها رفضت الحق في محاكمة إسحاق وبقية الصحفيين الأسرى منذ سبتمبر 2001.

وأشارت اللجنة إلى أنها ستسترعي انتباه إريتريا بشأن عدم امتثالها للإتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان. وبهذا الوعد، استرجعت عائلة إسحاق الأمل من جديد. لكن بيتليهم بقيت على حذرها : «*هذا يعني شيئا بالتحديد، لكن فيما إذا سيؤدي إلى نتائج ملموسة، فذلك متوقّف حصرا على إريتريا. فهي من تمتلك القدرة على تقرير مصير والدي*». أما أسّاياس، فيعتبر هذه الخطوة «تطورا إيجابيا» ويقول : «*هي رسالة الى المجتمع الدّولي وإلى الدولة الإريترية التي تواصل في إلحاق أضرار جسيمة على شقيقي، منذ نحو ست عشرة سنة. آمل فقط أن الذين يمسكون بزمام السلطة لهم آذانا صاغية وسوف يفعلون شيئا ما*».

دبلوماسية صامتة

في نظر أسّاياس، لقد مرّ وقت طويل قبل أن تهتم وسائل الإعلام والجهات الرسمية السويدية والمجتمع المدني بقضيّة إسحاق. ثمّ حرّكت الحكومة اتصالات "دبلوماسية صامتة" مع إريتريا لإطلاق سراحه. ولاح بصيص من الأمل عند إطلاق سراح إسحاق في نوفمبر 2005، سرعان ما فُقد حين تمّ اعتقاله من جديد بعد يومين، وهو في طريقه إلى المستشفى.

وعاد الأمل من جديد بعد بضع سنوات عندما صرح أحد حراس السجن السابقين والذي كان قد فرّ من إريتريا لوسائل الإعلام السويدية بأن إسحاق مازال على قيد الحياة، لكنه ليس في حالة صحيّة جيّدة ومعتقل في ظروف لا إنسانية. من المحتمل أن يكون إسحاق قد قضى معظم السنوات الست عشرة الأخيرة معزولا في زنزانة مظلمة.

وكما تقول سيلا بينكو، تدلّ قصّة إسحاق على «*أنّنا نحتاج إلى الصحفيين للقيام بمساءلة الذين يمسكون بزمام السلطة، ولكن للأسف ذلك يعرّضهم أكثر فأكثر إلى الخطر. لا بدّ من الإقرار بالجميل لكلّ الذين يقبلون بتحمّل المخاطر لشرح واقع ما كنّا نطّلع عليه بدونهم. داويت مثال للشجاعة. وهناك صحفيون آخرون في جميع أنحاء العالم يضمنون حماية حريّة التعبير... وإنّني فخورة بإجماع لجنة التحكيم التي أترأّسها على منح داويت إسحاق جائزة اليونسكو العالمية لحريّة الصحافة. ستساهم هذه الجائزة في الضغط على معتقليه*».

أطلقت لجنة فريي داويت حملة « بضعة لحظات مع داويت » : نصبت زنزانة شبيهة بحبس داويت، في عدة أماكن، وتمت دعوة المارة إلى دخولها للتمعّن والتفكير في عزلة لمدة ربع ساعة. 15 دقيقة من التفكير حول 15 سنة من السجن. التقطت هذه الصورة في ذكرى مرور 5000 يوم على اعتقال داويت، في إحدى ساحات مدينة ستوكهولم.

© Brit Stakston

ناتالي روتشيلد صحفية مستقلّة سويدية. تنشر مقالاتها في *ني وول ستريت جورنال وني أطلنطك وني غاردين وفورين بوليسي*. وهي منتجة ومراسلة في راديو *سفيريجبيس*، الإذاعة العمومية الوطنية في السويد.

هل يجب إعادة بناء التّراث ؟

كريستينا كامرون

تحت وقع الهجمات الإرهابية والكوارث الطبيعية، يتكبّد التراث الثقافي العالمي خسائر ثقيلة. ورغم الإعتراض المعتاد للمختصّين، فإن القرارات الصادرة عن لجنة التراث العالمي وعن اليونسكو تترجم تغييرا في تناول مسألة إعادة بناء المواقع المتضررة أو المُدمّرة.

تنشر رسالة اليونسكو هذا المقال بمناسبة الدورة 41 للجنة التراث العالمي التي تحتضنها مدينة كراكوف (بولونيا) في شهر يوليو 2017.

© OUR PLACE World Heritage Collection (www.ourplaceworldheritage.com)

إن تدمير التراث الثقافي في كافة أنحاء العالم، وتفاقمه بشكل غير مسبوق، يدعو إلى التساؤل من جديد عما إذا كان يجب إعادة بناء المواقع الهامة حتى تستعيد مقامها.

كان في إبادة أصنام بوذا في واد باميان سنة 2001 بأفغانستان إنذار بموجة تدنيس مُتعمّدة للمواقع الثقافية العالمية الأكثر رمزية، على غرار المدينتين السوريّتين تدمر وحلب.

وبالنسبة لليونسكو، يشكل هذا التهجم على مواقع التراث العالمي ضربا من ضروب التصفية الثقافية. ممّا يحتّم اعتماد سياسات جديدة وطنيّا وعالميّا، ويتطلّب تدخّل الأمم المتحدة والأنتربول والمحكمة الجنائية الدولية. لكن الكوارث الطبيعية تولّد أيضا الخراب، كما كان الشأن عند حدوث زلزال في واد كتمندو في النيبال سنة 2015 الذي دمّر مئات الهياكل في موقع التراث العالمي.

قبّة جمباكو المدمّرة، في النصب التذكاري للسلام، هيروشيما، اليابان.

إن فكرة إعادة البناء ليست بالجديدة. فهي تعود إلى الثقافات الغربية في القرن التاسع عشر، عندما برز مفهوم المعلم التاريخي بالتوازي مع تطوّر الوعي بأهمّية التاريخ، كردّة فعل على التصنيع السريع وما فرضه من قطع مع الماضي. فشرع المهندسون المعماريون في إعادة بناء الأجزاء المندثرة في المباني التراثية، حتّى يُعيدوا لها سالف بريقها. من ذلك إعادة بناء حصن مدينة كركاسون في فرنسا، من قبل أوجان إيمانويل فيولي-لودوك، المهندس المعماري الذي نظّر لتجديد تيار القوطية الفرنسية. وفي القرن العشرين، بلغت هذه الظاهرة حيوية فائقة خاصة في أمريكا الشمالية حيث كانت تعرض نماذج مستوحاة من التاريخ تُستخدم كمتاحف حيّة. وكانت تنال هذه الأساليب إعجاب الزوّار لنجاعتها في التعريف بالماضي وشرحه. ويبقى ويليامسبورغ في فرجينيا، أشهر مثال لهذه الظاهرة، حيث تمّت، في الثلاثينات، إعادة تشييد 350 بناية كانت في حالة خراب، فيما هدّمت عمارات أحدث منها حتى يحلّ محلها مركز لتمثيل ما كانت عليه أمريكا الإستعمارية في القرن الثامن عشر.

وقد نذهب إلى حدّ القول بأن اتفاقية التراث العالمي لسنة 1972 يعود مصدرها إلى مبادرة من اليونسكو، ألا وهي تفكيك وإعادة تشييد معالم النوبة في مصر، من أبي سنبل إلى جزيرة الفيلة. كانت تأوي تلك المنطقة الأثرية الفريدة من نوعها، معالم ومعابد يعود تاريخها إلى ثلاثة آلاف سنة وكادت مياه سد أسوان أن تغمرها. وبفضل حملة دولية إستثنائية أطلقتها اليونسكو على مدى أكثر من عشرين سنة، من 1960 إلى 1980، تمّ إنقاذ تلك الكنوز.

النّزاهة والشفافية

لكن السؤال يبقى مطروحا : هل يجب إعادة البناء أم لا ؟ إن المختصّين في مجال المحافظة على التراث عادة ما يعترضون على إعادة البناء بحجّة أنها قد تؤول إلى تزوير التاريخ وإلى خلق أماكن خيالية لم يكن لها وجود بتاتا في ذلك الشكل. وهذا الموقف الذي ظهر في القرن التاسع عشر، قد ازداد قوّة بعد أن نصح المؤرخ وعالم الآثار الفرنسي أدولف نابوليون ديدرون : «*بخصوص المعالم التاريخية، فإن التدعيم خير من الإصلاح، والإصلاح خير من الترميم، والترميم خير من إعادة البناء...*». وهي وجهة نظر يتداولها الكثير.

في كتابه *بريما كارتا ديل ريستورو* الصادر سنة 1883، حدّد المهندس المعماري الإيطالي كاميلو بواتو ثمانية مبادئ للمحافظة على التراث، مُؤكّدا على ضرورة الإلتزام بالنزاهة وبالشفافية عند إعادة قِطع أُتلفت من البناء الأصلي. وأخيرا، تمّ في القرن العشرين التعبير عن هذه الأفكار في نصّ مذهبي مرجعي يُمثّل القاعدة التأسيسية للمجلس الدولي للمعالم والمواقع (إيكوموس) : *الميثاق العالمي للمحافظة على المعالم والمواقع وترميمها* (1964)، المعروف باسم ميثاق البندقية، والذي يمنع إعادة البناء ويُعلن أن الترميم يجب أن يتوقّف عندما يبدأ التخمين. وأصبحت كل المعايير والتوجّهات الكبرى التي صيغت منذ ذلك الحين تشتمل على تحفّظات بخصوص إعادة بناء المواقع الأثرية. في ما عدا بعض الإستثناءات، مثل *ميثاق إيكوموس-أستراليا للمحافظة على المواقع ذات الأهمّية الثقافية* أو ما يُسمّى بميثاق بورا، المصادق عليه سنة 1979، والذي يقبل بإعادة البناء عندما يتعلّق الأمر بعرف أو بعادة تُبقي على القيمة الثقافية، لكنه يوصي «*بمنهجية حذرة أمام التغيير*».

© Ammar Abd Rabbo / Abaca Press

تغيير في الموقف

في السنوات الأولى، كانت لجنة التراث العالمي التابعة لليونسكو تُطبّق مذهب المجلس الدولي للمعالم والمواقع-إيكوموس وكانت، بشكل عام، تُعارض إعادة البناء. لكنها خالفت هذه القاعدة سنة 1980 بخصوص الحي التاريخي وسط مدينة وارسو الذي كانت إعادة بنائه تُعتبر رمزا للوطنية البولونية. لكن، وإلى زمن غير بعيد، بقيت اللّجنة عموما على موقفها، رغم بعض الإستثناءات الأخرى. منها تسجيل حي الجسر العتيق في مدينة مستار العتيقة بالبوسنة والهرسك سنة 2005، الذي تمّ تبريره بضرورة إعادة إحياء قيمته الثقافية، بالنظر لبعده اللّامادّي. وبخصوص أضرحة ملوك البوغندا في كاسوبي (أوغندا)، التي التهمتها النيران سنة 2010، فقد أعطت اللّجنة موافقتها المُؤقّتة لإعادة البناء، شريطة أن يعتمد الهيكل الجديد على وثائق ثابتة وعلى الأشكال والتقنيات التقليدية، وعلى استمرارية الإستعمال. وفي الواقع، فإن الصيغة الحالية للتوجّهات المفترض أن تقود تطبيق إتفاقية التراث العالمي للجنة التراث العالمي ما زالت تعكس ميثاق البندقية الذي يُؤكّد : «*بخصوص الأصالة، فإن إعادة بناء الرّكام الأثري، أو المعالم، أو الأحياء التاريخية، لا يمكن تبريرها إلّا في وضعيات إستثنائية. فإعادة البناء لا تُقبل إلّا إذا كانت تستند إلى توثيق تام ومفصّل، بعيدا عن كلّ افتراض*».

مع ذلك، وفي ضوء الهجمات الأخيرة التي شنّها المتطرّفون على المواقع الأثرية، كانت قرارات كل من لجنة التراث العالمي واليونسكو تعكس تغييرا في الموقف، يميل أكثر إلى قبول إعادة البناء. وهو موقف تبرّره، جزئيا، الأفكار الواردة في وثيقة نارا حول الأصالة وهي وثيقة تتضمن إشارة إلى الخصوصيات غير الملموسة، بما يوفر مبررا إضافيا لصالح إعادة البناء. (تمّت صياغة وثيقة نارا سنة 1994 "بانسجام مع روح ميثاق البندقية"، وقد تمّ اعتمادها من قبل المجلس الدولي للمعالم والمواقع-إيكوموس).

وقد يكون هذا التغيير متزامنا مع التدمير المُتعمّد لأضرحة الأولياء الصوفيين في تمبكتو، وهو موقع للتراث العالمي. ففي تحدّ لنداءات المديرة العامّة لليونسكو ولهيئة التراث العالمي بعدم الإساءة لهذه القبور المبجّلة، انهال عليها المتطرّفون في هجوم انتقامي جشع، إلى حدّ التدمير الكامل لأربعة عشر ضريحا. ومنذ ذلك الحين، تولّت اليونسكو قيادة عملية إعادة البناء التي أُنجزت في وقت قياسي سنة 2015.

وهذا من شأنه أن يُساعدنا على اتخاذ موقف نهائي حول مسألة إعادة البناء إما بالقبول أو بالرفض. ويجدر التذكير، في هذا المضمار، بأن القيم الواردة في إعلان القيم الاستثنائية الكونية لأضرحة تمبكتو تُؤكّد على اعتبارها شهادة تاريخية دون التعرض لقيمتها الطائفية ولا إلى المهارات التي ساهمت في بنائها. ولم تقع إثارة موضوع القيم الطائفية واللامادية للأضرحة إلّا بعد هدمها.

طريق مقطوعة بستائر مُعلّقة، للإحتماء من طلقات القنّاصة، حلب، سوريا

أداة للتّحديث

إن الحجج الداعمة لإعادة البناء مرتبطة بالأساس بالمجموعات المحلية : إذ تنتقل تقنيات البناء التقليدية من القدماء إلى جيل جديد من المُشيّدين، وتتكتّل المجموعة بأكملها حول المشروع ويتمّ الحفاظ على وظيفة الموقع كفضاء للتعبّد وللتأمّل. كما أن مشاركة السكان المحلّيين في إعادة بناء القبور يُمكن أن تؤخذ من منظور المصالحة والتجدّد.

أما الحجج المعارضة، وبقطع النظر عن القواعد المنصوص عليها في الوثيقة التوجيهية للجنة التراث العالمي، فهي تتعلق بالخصوص بقلّة الشفافية في أخذ القرار من قبل اليونسكو والتخوّف من أن ينفرد الخبراء والمنظمات الحكومية بحسم الأمر دون استشارة المجموعات المحلية. ولتلافي ذلك، سوف يتمّ الإعتناء بتوفير المعلومات اللّازمة حتى تفهم الأجيال القادمة كيف تمّ انتقاء الحلول وما هي الخيارات التي كانت مطروحة وما هي القيم التي تمّ الإحتفاظ بها والقيم المُستحدثة.

كما طُرحت فكرة ترك فترة زمنية لإمعان التفكير وتوفير المجال الضروري لإعادة النظر في الأشياء، بعد مرور الزمن وتعاقب الأجيال، خاصة بعد حدوث صدمة مثل تلك التي وقعت في تمبكتو. لأن إعادة بناء كل الأضرحة يمكن أن يَمحو الذاكرة وأن يَحرم الشعب من فضاء يحمل ماضيه. في النصب التذكاري للسلام بهيروشيما، في اليابان، تم الإحتفاظ بقبّة جمباكو على حالها من الدّمار، حتى تحتفظ الذاكرة بالويلات التي سبّبتها قوّة تدمير لم يسبق أن خلق الإنسان لها مثيلا.

نحو توجّهات جديدة

وكأنّ القرارات التي تعتمدها لجنة التراث العالمي من حين لآخر وحسب الحالات، حول مسألة إعادة البناء، تعلن عن اتجاه جديد. وهذا التغيير يتحدّى حماة مذهب المحافظة، مثل المجلس الدولي للمعالم والمواقع-إيكوموس، لأن القرارات الصادرة عن هيكل دولي معتبر مثل لجنة التراث العالمي، تُضفي حتما مزيدا من الإيمان بنموذج مختلف للمحافظة. وبتغيّر الظروف، لا بدّ من توجّهات جديدة. وأصبح من الضروري فتح مواثيق المحافظة لأفكار جديدة، كما يجب تحيين آليات التراث العالمي. فمنذ نشأة مبادئ المحافظة في القرن التاسع عشر، قدّم كل جيل مبادئه وتوجيهاته. ويبقى المذهب الذي يعتمد العناصر الملموسة، كما هو منصوص عليه في الخطوط العملية التوجيهية للتراث العالمي، عنصرا من موروثنا. لقد أحدث ميثاق بورا منعرجا حاسما في اتجاه مفهوم للمحافظة يرتكز على القيم وعلى أهمية التراث في القيم الثقافية. ويشجّع بيان نارا، الذي يُؤكّد على التنوّع الثقافي وعلى نسبية القيم، الفاعلين في ميدان التراث على فهم ميثاق البندقية من هذا المنظور. وتشكل هذه النظرة الإضافية نقطة انطلاق جيدة لتناول مسألة إعادة البناء بصفة متجدّدة.

كريستينا كامرون (كندا) أستاذة وصاحبة الكرسي الكندي للبحث في التراث، في مدرسة الهندسة المعمارية بجامعة مونريال. شغلت لمدّة تزيد عن 35 سنة خطة مديرة في مجال التراث في مؤسسة باركس كندا. كما كانت لها مشاركة فعّالة في عمل اليونسكو كرئيسة للبعثة الكندية لدى لجنة التراث العالمي (1990-2008)، وكرئيسة للجنة (1990 و2008).

السنّ المُبكّرة

مفتاح التّعلّم

هيلان أبادزي

في الوقت الذي تتسبّب الهجرة المُكثّفة للاجئين في اضطراب نسق تعليم عشرات الآلاف من الأطفال، تدعو الأخصّائية في علوم التربية هيلان أبادزي، التي ساهمت دراساتها في جعل التمكّن من القراءة منذ بداية التعليم الإبتدائي أولوية عالمية من الدرجة الأولى، إلى «تلقيح» مُبكّر للأطفال بواسطة التعلّم قبل سن 18 سنة، لوقايتهم من الأمّية.

في 8 سبتمبر من كلّ سنة، وبمناسبة اليوم العالمي للتعلّم، تعود بي الذاكرة إلى النساء الأمّيات اللاتي عرفتهنّ في طفولتي. قبل بضعة عقود، كان اليونان، مسقط رأسي، يعاني من فقر مدقع ومن صراعات عرقية عميقة. إلّا أن المشاكل في مجال التربية التي تسبب فيها ذلك الوضع في تلك الفترة، لا زالت قائمة اليوم.

في الثلاثينات، تولّت خالتاي تشغيل فتاة ريفية، ونادرا ما تُرسل فتيات الريف إلى المدرسة في ذلك الوقت. وحيث كانت مهنتهما التعليم، بادرتا بتعليمها قراءة الحروف اليونانية التي تُعتبر مُتناسقة نسبيا. تعلّمت ماريا الحروف، لكن استيعابها اقتصر على تهجئة الكلمات، وانتهي بها الأمر إلى التخلّي عن القراءة. اعتنت ماريا بعديد الأطفال الذين كانوا يدرسون تحت أنظارها، لكنّها بقيت أمّية لحين أن غادرت الحياة في سن التسعين.

وحُرمت عمّتي من الدراسة بسبب الصراعات العرقية والتنقّلات. كانت عائلتها قد هربت من تركيا إلى اليونان سنة 1922. تُوفّي والداها ولم تطأ قدماها يوما المدرسة. عند بلوغها سن الأربعين، تعلّمت الأبجديات من ابنتها المُدرّسة. وقضت عمّتي نصف عمرها في مدينة كبيرة، مُحاطة بالكتابات. لكن، عندما اختبرتها، وقد بلغت 97 سنة من عمرها، اتّضح أنها لا تقرأ إلاّ الأحرف الغليظة، بعد كثير من التردّد. وكانت في أحسن الحالات تتمكّن من قراءة عناوين خطوط الحافلات.

أما صوفيا، المرأة التي تربّيتُ على يديها، فقد بلغت مستوى مختلفا تماما. فبعد اقتلاعها من تركيا سنة 1922، بدأت دراستها الإبتدائية، لكن سرعان ما وجدت نفسها يتيمة وبدون مأوى. ولما بدأتُ أتعلّمُ القراءة، هي التي كانت تُساعدني. كانت تقرأ كتبنا المدرسية بصوت مُتردّد، وهو ما كان يُثير فينا الضحك. وبما أنها كانت تستوعب جملا بأكملها، واصلت التمرّن وأخذت في التحسّن. ولّما تقدّمت في السن، كانت تضع نظاراتها وتفتح الصحيفة لتقرأ الأخبار لوالدتي.

هذه اللّوحة ذات ثلاث أبعاد، تجسم رسما لولاء البالغ من العمر 11 سنة، يعبّر عن الذكريات التي خلّفها قصف مدرسته في سوريا، مسقط رأسه. اللوحة من إخراج أصدقائه في مخيّم اللاجئين في البقاع بلبنان. يشارك هؤلاء الأطفال في الأنشطة التربوية، منها القراءة، التي تنظمها مدرسة سايف ذي شلدرن.

عسر القراءة لدى الكهول

بعد سنوات عديدة، وبوصفي أخصّائية في التربية لدى البنك الدولي، قمت بدراسة عدّة مشاريع لمحو الأمّية لدى الكهول، قصد تقييمها. ورغم المجهودات التي بذلتها الحكومات والمنظمات غير الحكومية لمحو الأمّية لدى الكهول في الثمانينات والتسعينات، ذكّرتني الوضعيات المعروضة للدرس بحالات عرفتها في طفولتي. في البنغلادش، يبقى المتعلّمون يُهجّؤون حتى بعد سنة من التّمرّن. وفي بوركينا فاسو، في آخر فترة من تكوينهم، يتوقّف الكهول عند كلّ كلمة، ويجدون صعوبة حتى في فكّ شفرة ما يخطّونه بأيديهم. في المقابل، كان الذين دخلوا المدارس في طفولتهم لفترة قصيرة، يقرؤون بأريحية، كما كان شأن صوفيا. كان التباين مُذهلا.

إن الكهول الذين لم يدرسوا في الصغر ليسوا الوحيدين الذين يقرؤون بصعوبة. فالأجانب المُتعلّمون الذين يدرسون لغة تختلف حروفها عن حروف لغتهم يجدون نفس الصعوبات. ونجد الباحث أو الناشط في المجال الإنساني، ذي الأصل "الغربي"، الذي عاش عشرات السنين في أثيوبيا أو في البنغلادش، يتكلّم لغة البلاد بسلاسة، لكنه يبقى طول حياته يقرأها مثل الطفل الذي يدرس في القسم التحضيري، لأنّه يصطدم بخصلة من الحروف يجب تفكيكها حرفا حرفا. وتصبح القراءة مُملّة جدّا، فيتهرّب منها الكثيرون.

تُبرز هذه الأمثلة ظاهرة غريبة يمكن تعريفها ب «عسر القراءة لدى الكهل حديث العهد بالتعلّم». ويبدو أنها تتجلّى في سن 19 سنة، ويمكن أن تُصيبنا جميعا. إن الطلبة الذين يتعلّمون لغة بحروف جديدة بعد سن 18 سنة، يقرؤون بتأنّ ويجدون طيلة عشرات السنين صعوبات لفكّ رموز النصوص. تشير العديد من الدراسات منها المعرفية وأخرى في مجال علوم الأعصاب، إلى صعوبات مستمرّة في القراءة لدى الكهول. لا شكّ أن عسر القراءة عند الكهول يُفسّر جزئيّا النتائج التعيسة التي حصلت عليها برامج محو الأمّية لدى الكهول عبر العالم. لكن لم يتمّ التفطّن إليه. أمّا المُعلّمون، فيُفسّرون هاته الإخفاقات بالمشاكل الإجتماعية وبقلّة تحمّس الدارسين أو لسوء التنظيم. كل ذلك يدخل طبعا في الإعتبار، إلّا أن النتائج ليست بالأحسن حتى عندما يكون الدارسون مصرّين على التعلّم. ولأن عسر القراءة لا يتجلّى للعيان، بقيت البحوث المخصّصة لهذه الظاهرة الغريبة، نادرة.

ولكن، ما معنى القراءة بسيولة وأين تكمن أهمّيتها ؟ إن كانت تعتبر بمثابة المراسم البسيطة لتجاوز مرحلة الطفولة، فإنها تتطلب في الواقع تغيّرات خصوصية على مستوى الأدمغة.

"تلقيح" الأطفال ضدّ الأميّة

القراءة هي ثمرة التعلّم بالإدراك الحسّي. أثناء اللحظات الأولى، تكون القراءة منفصلة عن كل استيعاب. بعد ذلك، وبالاستعانة بالتمرين، يصبح الدّماغ قادرا على القيام في الآن نفسه بجمع الحروف وفكّ رموزها. وتكون العملية ناجعة بما أنه يتمّ تدريس الرموز منفصلة عن بعضها، مع التأكيد على حالات التشابه في الشكل. ثم، بالتدريب، يتعوّد على جمع وحدات صغيرة من الحروف لتكوين وحدات أكبر. وتوجد أنواع من الحروف ومن أنظمة الكتابة التي تتطلّب وقتا أطول من غيرها. إلّا أنه في كل الثقافات، من فرنسا إلى الصين، يستعمل الناس نفس البنية الدماغية للقراءة.

© Patrick Willocq / Save the Children

في البداية، يقوم المتعلِّم بفكّ رموز الحروف بشكل منفصل وبكلّ وعي. وبعد عشرات الساعات من التّمرّن، يتحرّك جزء آخر من الدماغ قادر على التعرف على الكلمات كما لو كانت "وجوها بشرية". في ما بعد، مجرّد نظرة خاطفة تكون كافية لقراءة سلسلة من الحروف، مثلما يحصل عند إدراك سِمات الوجه. فتصبح القراءة سهلة وآليّة. وتماما مثلما يتعذر علينا عدم ادراك الأشخاص الذين نعرفهم، لن نتمكّن من التوقّف عن القراءة. وتصل سرعة التعرف على الكلمات إلى ما بين 45 و60 كلمة في الدقيقة.

بفضل منهجية التعلّم بالإدراك الحسّي، يمكن للإنسان أن يحفظ التعرّف على بصمة، أو نوتة موسيقية، أو أرقام، أو معادلات رياضية، أو مجموعة كواكب، أو مؤشرات استباقية عن حالة الطقس. ولّما يتمّ اكتساب هذه المهارة البصرية وبالتمرّن عليها بانتظام، فهي ترسَخ في الذاكرة. وهذا يعني أنه باستطاعتنا "تلقيح" الأطفال ضدّ الأميّة.

ومن الغرابة أن لا نحتاج إلى معرفة لغة وإلى حذق كتابتها حتى نتمكّن من قراءتها بفصاحة. ولغايات دينية، يتعلّم ملايين الأطفال عبر العالم قراءة نصوص في لغات يجهلونها ومكتوبة بحروف غير حروف لغتهم الوطنية. إن التعلّم يكون أيسر بكثير إن وُجد تطابق بين الحروف والأصوات، مثلما هو الشأن بالنسبة للإسبانية أو الهندية، على عكس الإنجليزية أو الخميرية التي تتّسم كتابتها بعدم التناسق. ولكي نفهم نصّا لا بدّ من شيء من المرونة، إذ أن حدود الذاكرة قصيرة المدى تفرض السرعة. فالكهل المتعلّم قادر على قراءة ما بين 250 و350 كلمة في الدقيقة.

إن الأطفال الذين ينفصلون عن المدرسة بعد أن كانوا قد اكتسبوا آليّة القراءة، هم قادرون على قراءة الكتابات المحيطة بهم وعلى التمرّن بالقدر الكافي للحفاظ على قدرتهم على القراءة وعلى تحسينها : وتلك كانت الحال بالنسبة لمُربّيتي صوفيا.

لكن الذين يُغادرون المدرسة قبل تعلّم القراءة بفصاحة، فتهجئة الحروف تبدو لهم مُملّة جدا. وإن مرّوا أمام مُعلّقة أو إسم شارع، قد لا يتمكّنوا من قراءتها، مثلما كان الشأن بالنسبة إلى ماريا وإلى عمّتي.

مع الأسف، اكتساب القدرة على قراءة عدد كبير من الرموز بشكل آلي، هو محدود في الزمن. إذ أن بعض المسالك العصبية التي يعبر منها حسّ الإدراك، تمرّ بفترات دقيقة وتصبح بطيئة عند بلوغ سن المراهقة. وإذا انقطعت عملية اكتساب آلية القراءة لعدّة سنوات، يكون الطفل قد فقد وقتا ثمينا يصعب استدراكه.

باراشيفا تمارس المطالعة على نور شمعة، في قريتها المنعزلة الواقعة في منطقة بوكوفين، برومانيا

© Radu Dumitrescu

© Merijn Hos (merijnhos.com)

تجسيم خيالي لتخصّص الدماغ البشري في مختلف القدرات المعرفية. رسم للفنان ماريين هوس.

اكتساب آلية القراءة قبل سن الثامنة عشرة

تسببت الهجرة المُكثّفة للاجئين في القرن 21 في أزمة خطيرة في مجال الأميّة. لقد انقطعت دراسة العديد من الأطفال في سنّ حاسمة. وعند نقلهم من سوريا إلى اليونان أو إلى ألمانيا، قد يكونوا قد فقدوا القدرة على القراءة الآلية للحروف العربية المعقّدة. وسيكون هذا الانقطاع حتما نهائيا بالنسبة للبعض منهم. إن الهجرة ليست الخطر الوحيد الذي يُهدد تعلّم الأطفال. فالدول ذات الدخل الضعيف، التي قامت بتوسيع نظمها التعليمية دون معرفة كيفية تعليم التلاميذ في الأوساط الإجتماعية الفقيرة، أصبحت تُنتج جيلا من المتمدرسين الجهلاء. ويزداد الوضع خطورة من جراء استعمال الإنجليزية والفرنسية لأن كتابتهما معقدة، لدرجة أن عددا كبيرا من التلاميذ الأفارقة لا يقدرون، في أحسن الحالات، إلّا على تهجئة بعض الحروف في هاتين اللّغتين. زاول عدد منهم دروس محو الأمية، عندما أصبحوا كهولا، إلاّ أنه، حسب البنك الدولي، قد فات الأوان ليتمكّنوا من تطوير الآليات اللّازمة.

ولهذه الحقائق المرتبطة بالمجال العصبي أيضا تأثيرات على أهداف التنمية المستدامة. ووفقا للهدف 4.6، يجب على الحكومات أن تعمل، في أفق 2030، على أن يكون كافة الشبان وجزء هام من الكهول، رجالا ونساء، قد تعلّموا القراءة والكتابة والحساب. ولتيسير التعلّم ومساعدة المُدرّسين في هذه المهمّة، لا بدّ من توظيف البحث في العصبية المعرفية.

إن تنشيط وظيفة التعلّم بالإدراك لا يتطلّب مناهج تربوية متطوّرة. وعلى المعلمين أن يُدرّسوا التطابق بين الحرف والصوت وأن يزيدوا من التمارين في القسم مع التوضيحات اللازمة. ويُمكّن التمرين العملي من الربط بين الوحدات الصغيرة والوحدات الأكبر، وبين الكلمات والجُمل. لا بدّ من كتب سميكة وغزيرة لتنمية القدرة على التعرّف على "الوجه"، وأن تكون مكتوبة بأحرف غليظة ومتباعدة لتستجيب لمتطلبات الإستيعاب البصري. وما دامت الكتابة داعمة للقراءة، يجب اكتساب ما يكفي من الكلمات لفهم النصوص. وحيث أن القراءة هي عملية كونية، فإن قراءة 45 إلى 60 كلمة في الدقيقة يُمكن أن تُمثّل معيارا تقريبيّا لقياس آلية القراءة في أغلب اللغات والحروف. ولكي يتعلّم الطفل بالنصوص ويحسّ بلذّة القراءة، يجب أن يبلغ هذه السرعة منذ نهاية السنة الثانية من التعليم الإبتدائي.

يتلقى المُتبرّعون والحكومات العديد من النصائح المُحيّرة حول القراءة. فالطرق التقليدية للتعليم حرفا حرفا، وهي أكثر تطابقا مع طريقة اشتغال الدماغ، تمّ تعويضها بأنشطة ترتكز على المقاربة الإجمالية للّغة وهي منهجية تعكس وجهة نظر الطبقات الوسطى. وقد تكون لذلك انعكاسات خطيرة على الفقراء. إن التلاميذ الذين يتعلّمون اللّغات ذات الرسوم المتناسقة، بإمكانهم التطوّر سريعا في القراءة منذ السنة الأولى، و يضلّوا قادرين على المواصلة في حال انقطاعات لاحقة. وهو ما كانت تتيحه كتب القراءة القديمة. لكن إدخال الطرق "الحديثة" تسبب في بطء هذه العملية، مما جعل التلاميذ عرضة لتقلبات الحياة ولخطر الوقوع في الأمية.

يُذكّرنا اليوم العالمي للتعلّم بأنه من واجبنا تأمين آلية القراءة منذ الطفولة. لأن هذه الوظيفة لها حدّ زمني: عند بلوغ سن 18 سنة، على أقصى تقدير، يجب على كل الأطفال أن يكونوا قادرين على القراءة بفصاحة في لغة واحدة أو أكثر.

وإن كان من المحتمل في المستقبل، أن تخفف البحوث في مجال الطب الحيوي من هذه الظاهرة العصبية، إلّا أن الهدف، في أفق 2030، يبقى واضحا. فالحروب وتنقّل الأشخاص مُرتبطة بالتطوّر البشري، وعلى سلك المُربّين إذا أن يكون على استعداد لذلك. وعلى المُتطوّعين والحكومات أن يستغلّوا البحوث المُتوفّرة حتى يتحقق اكتساب آلية القراءة منذ السنة الأولى، وفي حال الإنقطاع عن الدراسة بسبب وضعية طارئة، يُضمن للكهول مستقبل مثيل لمستقبل صوفيا، لا لماريا.

هيلان أبادزي عالمة نفسانية يونانية، باحثة في جامعة تكساس-أرلنغتن. عملت لمدة 27 سنة كاخصّائية رئيسيّة في التربية لدى البنك الدولي واعتمدت على السيكولوجيا المعرفية وعلى علوم الأعصاب لتحسين نتائج الاستثمارات في مجالات التربية. ومنذ 2015، أصبحت هيلان أبادزي واحدة من الأعضاء الخمسة للجنة تحكيم جوائز اليونسكو الدولية للتعلّم، وقد ترأّست اللجنة من سنة 2016 إلى يونيو 2017.

تيسير التعلّم

بفضل تقاسم حرّ وشرعي

كايبل غرين

يبقى غياب منظومة كونية تسمح للجميع بالوصول إلى الموارد التربوية الجيّدة، مشكلة عالمية. ويعتبر كايبل غرين أن التعليم المفتوح هو بصدد توسيع امكانيات النفاذ لهذه الموارد وتخفيض كلفتها، حتى تعم الفائدة طلبة العالم بأسره.

by David Kindler (CC BY 2.0)

كايبل غرين، مدير التعليم المفتوح لدى «كرياتيف كمنس»

تنشر *رسالة اليونسكو* هذا المقال بإجازة دولية *كرياتيف كمنس*، Attribution 4.0 Creative Commons بمناسبة المؤتمر الثاني للمواد التربوية الحرّة الذي ينعقد في 17 سبتمبر 2017 في لوبليانا، سلوفينيا.

يتّسم عصرنا بوفرة المعلومات حيث يُمكن للجميع، ولأول مرّة في التاريخ، الحصول على كل المعلومات المرجوّة. وتفتح هذه الثورة آفاقا جديدة للتعلّم، شرط أن تتوفّر الموارد التربوية الحرّة، أي المعدّات التي يمكن اقتناؤها بصفة حرّة و التي يمكن بكل شرعية، تحميلها أو تعديلها أو تقاسمها خدمة لمصلحة التلاميذ.

منذ عشرين سنة، أصبحت مختلف الموارد المُستعملة لتعليم القراءة والكتابة ولتلقين مبادئ الفيزياء أو لتطوير الفكر النقدي، تنتج في صيغة رقمية «منذ البداية» : كتب، أشرطة فيديو، دروس، برامج مانحة للشهادات، وغيرها. وإن كنّا نواصل استعمال المطبوعات والحصول على المعدّات التربوية دون اللجوء إلى الإنترنت، إلّا أننا نحتفظ بها جميعا في ملفات رقمية. وبفضل النات، والكلفة البسيطة لاسطوانات الحفظ، والسحابات الرقمية، أصبح من الممكن، وبدون ثمن، تخزين الموارد التربوية ومضاعفتها وتوزيعها.

لكن كيف يمكن تقاسم مضامين تربوية رقمية، لغاية التعليم، دون خرق قانون الملكية الفكرية ؟ كيف يمكن القيام بذلك بصفة شرعية ؟

إن أهم علامة مميِّزة للموارد التربوية الحرّة هي إجازتها "المفتوحة" والتراخيص القانونية المنوحة للعموم للإستعمال والتعديل والتوزيع. وكل مورد تربوي لا ينص بوضوح على أنه ملك للعموم أو أن إجازته حرّة، لا يُعتبر موردا تربويّا حرّا.

والوسيلة الأكثر انتشارا لوضع مورد تربوي، حقوق مُؤلفه محفوظة، في نظام الإجازة الحرة وإدراجه ضمن الموارد التربوية الحرة، هي أن يكون حاصلا على إجازة «كرياتيف كمنس» (الإبداعات المشتركة)، وهي إجازات موحّدة، مفتوحة وحرّة الاستعمال، كما أنها، حسب تقرير «كرياتيف كمنس» لسنة 2015، تمّ تطبيقها إلى حد الآن على أكثر من 1،2 مليار من الإنتاجات المحمية، عبر 9 ملايين موقع واب.

© Patric Sandri

توفر الموارد التربوية الحرّة دعما كبيرا للتعليم

وعندما يُخضِع مؤلف انتاجَه إلى إجازة «كرياتيف كمنس» فإنه يقبل بتوزيعها مجانا للعموم، وفي نفس الوقت يحتفظ بحقوقه للتأليف، حسب الترتيبات والشروط التي يختارها.

استغلال أقصى إمكانيات الموارد التربوية الحرّة

لا بدّ أن نوضّح أن صفة «مفتوحة» لا تترادف مع «مجانية». فالنّفاذ مجاناً إلى كافة «الموارد التربوية الحرّة» مُتاح، لكن هناك مضامين أخرى مجانية ليست كلها مصنفة كموارد تربوية حرّة. إذ يوجد مثلا عدد من الدروس المفتوحة للجميع عبر الإنترنت (المعروفة بتسمية «موك») ، ولكن لا يمكن اعتبار هذه الدروس من الموارد التربوية الحرة إلاّ إذا كانت حائزة على الإجازة الحرة أو إذا انخرطت في المجال العام. وندرك أن الفرق جسيم عندما نريد ترجمة الدروس المفتوحة للجميع (موك) إلى لغات أخرى و/أو إدخال تعديلات لتكييفها مع السياق المحلّي، للإستجابة إلى حاجيات الطلبة.

يمكن الإحتفاظ بكلّ حرية بالموارد التربوية الحرة (نسخها)، كما يمكن إعادة استعمالها (في شكلها الأصلي)، أو مراجعتها (تكييفها أو تعديلها أو تغييرها)، أو إعادة تركيبها (الخلط مع مضامين مختلفة لخلق مضمون جديد)، أو إعادة توزيعها (تقاسمها مع مستعملين آخرين)، وذلك دون خرق لقانون حقوق المؤلف. ولكي يتسنّى استغلال أقصى إمكانيات الموارد التربوية الحرة، يجب طبعا ضمان توفير المعدات في مجال تكنولوجيات المعلومات والاتصال، ووضعها تحت تصرف الجميع - مدرسين ومتعلّمين - وفي كلّ الأماكن، من حواسيب وأجهزة محمولة وربط مع شبكة الإنترنت.

وخلاصة القول، إذا تحدثنا عن الموارد التربوية الحرة، فذلك يعني : 1) الموارد التربوية متوفرة في شكل رقمي (يتمّ إنتاجها عادة بطريقة رقميّة، ولو أنه من الممكن وضعها على ذمّة المُتعلّمين في الشكلين، الرقمي والمطبوع)، ويُمكن تخزينها ونسخها وتوزيعها بدون أي تكلفة أو يكاد. 2) تسمح شبكة الإنترنت للجميع بتوزيع المضمون الرقمي بكل يسر. 3) بفضل الإجازات المفتوحة – «كرياتيف كمنس» – يمكن المحافظة على حقوق المُؤلف بسهولة وبصفة قانونية، مع إمكانية تقاسم الموارد التربوية المُنجزة مع العالم بأسره، وبصفة قانونية أيضا.

ماذا نجني من ذلك ؟

إن اختيار الموارد التربوية الحرّة يمكّن مؤسسات التعليم العالي من تعزيز منظومتها التربوية، أوّلا بضمان مساواة أكبر في النفاذ إلى المعارف، وذلك بتمكين كافة الطلبة، منذ اليوم الأول، من الوصول إلى جميع الموارد التربوية التي تمّ إنتاجها في سبيل نجاحهم. وهو أمر يبدو بديهيّا، غير أن ثلثي طلبة الجامعات، حتى في الولايات المتحدة، لا يقتنون الكتب المطلوبة لقلّة المال.

والتأثير الإيجابي الثاني يتمثّل في حصول كافة الطلبة على مضامين تربوية وثيقة الصّلة بأبحاثهم وتندرج في سياقها، باعتبار أنها أعدّت خصيصا لهم. وعلى سبيل المثال، فالأستاذ الذي يُدرّس في منباي بوسعه أن يقوم بتحميل كتاب تمّ توزيعه من قبل جامعة برشلونة بإجازة حرّة، ويمكن له ترجمته إلى الهندي مُضيفا له الأمثلة المناسبة لتيسير استيعابه من طرف طلبته وطالباته.

ثالثا، إن نتائج التعلّم تتحسّن، أو هي قد لا تتغيّر، لكن الكلفة تتقلّص إلى أن تُصبح شبه مجانية. فعندما يحصل كافة الطلبة الذين يتابعون درسًا ما، على جميع الموارد اللازمة منذ اليوم الأول، فمآلهم النجاح. وحسب تحليل صدر سنة 2015 وشمل أكثر من 16.000 طالب في مرحلة ما بعد التعليم الثانوي العام، فإن الطلبة الذين يستخدمون الموارد المفتوحة يحصلون على نتائج جامعية مساوية لنتائج زملائهم الذين يستعملون الكتب على المنوال القديم، وربما أحسن[1].

© Leonardo Ulian (www.leonardoulian.com)

«سينبسات شريحة إلكترونية 29 – بين الحاضر واللّامتناهي »، انجاز الفنان الإيطالي ليوناردو أوليان.

رابعا، نلاحظ أيضا تحسّنا في نسب إتمام الدراسة. فحسب المعطيات التي سجّلتها *تايدوتر* كميونتي *كولدج-فرجينيا*، فإن طلبة مختلف الاختصاصات الذين يستعملون الموارد التربوية الحرة تحصّلوا على نتائج أعلى بنسبة 11٪ سواء في ما يخص إتمام الدراسة أو النجاح[2]. وعندما يُمنحون إمكانية الحصول على مختلف الموارد التربوية التي يحتاجونها، فإن الطلبة يُنهون دراستهم وينجحون. ونظرا لتزايد عدد الطلبة الذين يُتمّمون الدراسة، تتقلّص مدّة دراستهم. وبفضل الموارد التربوية الحرة، تقوم المؤسسات بمساعدة الطلبة على مزيد من التقدم نحو تحقيق أهدافهم، بأكثر سرعة ونجاح، وهو ما يُضفي على الإستثمارات العمومية نجاعة أكبر.

أما الفائدة الخامسة، فتتمثّل في أن الطلبة والأساتذة، بإدراج الموارد التربوية الحرة في مجالات التعلّم، يُصبح بإمكانهم اختيار التطبيقات التربوية المفتوحة، أو بعبارة أخرى، حسب تعريف كاترين كرونان[3]، «*ممارسات تعاونية لإنتاج الموارد التربوية الحرّة، واستعمالها وإعادة استعمالها؛ وممارسات بيداغوجية ترتكز على التكنولوجيات التشاركية، والتعلم مع الزملاء، وإنتاج المعلومات وتوزيعها، واستقلالية المتعلّمين*». وهكذا يُصبح الطلبة شركاء في الانتاج، مُولّدين ومبتكرين للمعارف، قادرين على خلق الموارد التربوية الحرة وتحيينها وتحسينها في الوقت الذي يتعلّمون فيه.

المطالبة بالدّعم السياسي

من بين الوسائل التي يمكن للحكومات اعتمادها لدعم التربية المفتوحة هي أن تتوخى سياسة بسيطة تتمثّل في فرض الإجازة الحرة على الموارد التربوية المُموّلة من الميزانية العمومية.

ويكفي لذلك أن يتمّ إدراج، في النظم الحالية لتمويل الموارد التربوية (إعانات، وعقود، وغيرها)، شروطا تفرض الإنتاج بنظام الإجازة الحرة، والتي بموجبها تتحوّل المضامين إلى موارد تربوية حرة، فيتغيّر وضع الموارد المُموّلة من طرف الدولة من "مغلق" إلى "مفتوح".

وهناك تِعلّة مقنعة جدّا بالنسبة للسياسات التربوية : فبما أن المواطنين هم الذين يموّلون هذه الموارد بمساهماتهم في ميزانية الدولة، يحقّ لهم استعمالها بدون دفع إضافي، علاوة على امكانية تغييرها بشكل قانوني، حتى تستجيب للحاجيات المحلّية.

كل هذا يبدو غنيّا عن التعليل، ولكنه لا يمثل القاعدة. مع الأسف، في كثير من الحالات، نجد الموارد التي تمّ تصميمها بحكمة وإنتاجها بإعانة من المال العام، معروضة للبيع، ولا يطالها إلاّ من يُبدي استعدادا لدفع ثمنها مرّة ثانية. ولكن، لماذا نفرض هذه التكاليف الإضافية على المواطنين ؟

بإمكان، بل من واجب الحكومات والمؤسسات الخيرية والمؤسسات التربوية وضع سياسات للنفاذ الحر إلى الموارد التربوية، وفرض إدراج هذه المواد في نظام الإجازة الحرة، بما أنها هي التي موّلت إنتاجها. إن السياسات الصارمة تجعل من الإجازة الحرّة أمرا إجباريا، وتطبّق تعريفا واضحا لها، والأفضل باعتماد إجازة «كرياتيف كمنس» التي تعترف بحقّ إعادة الاستعمال الكامل، شريطة ذكر إسم المؤلف.

ومن دواعي الإرتياح أن يوجد مثل هؤلاء السياسيين. ففي جوان 2012، عقدت اليونسكو في مقرها مؤتمرا دوليا للموارد التربوية الحرّة، وأصدرت "إعلان باريس حول الموارد التربوية الحرة 2012" الذي يدعو الحكومات إلى «*تشجيع منح الإجازات المفتوحة للمعدّات التربوية التي يتمّ إنتاجها بالأموال العمومية*». ويُسعدني أن أعلن بأن العديد من الحكومات نفّذت هذه التوصية.

وفي الختام، إذا أردنا تعميم الموارد التربوية الحرة، وإذا أردنا أن تغطي هذه الموارد كافة مراحل التعليم وكلّ المواد وفي كلّ اللغات، وأن تكون ملائمة للحاجيات المحلية، وإن أردنا الحصول على التمويلات الضرورية لإنتاجها، وتبنّيها وتحيينها بصفة منتظمة، فلا بدّ، أوّلًا، من تعميم الوعي بأهميتها ودعمها باستمرار؛ وثانيًا، اعتماد سياسات منح الإجازات التربوية المفتوحة، وذلك على نطاق واسع. ولمّا يُصبح كل المُربّين شغوفين بالنفاذ الحر والمفتوح إلى هذه الموارد، وعندما نكون قد غيّرنا الأنظمة المالية، ويصبح الوصول لكافة الموارد التربوية المُحدثة بالمال العمومي "مفتوحا" بصفة آلية وليس "مغلقا"، عندها سنعيش في عالم يتيح للجميع الحصول على التربية التي يرغب فيها.

يُدير **كايبل غرين** (الولايات المتحدة) مصلحة التّعليم المفتوح لدى *كرياتيف كمنس* (الإبداعات المشتركة) التي تجمع أكثر من 500 نفر، من باحثين وناشطين وخبراء في المجالات القانونية والتربوية والعلمية والموسيقية والإستراتيجية وكذلك متطوّعين، صلب شبكة عالمية متواجدة في 85 دولة.

1. Lane Fischer, John Hilton, T. Jared Robinson et David Wiley, 2015 : A multi-institutional study of the impact of open textbook adoption on the learning outcomes of post-secondary students, *Journal of Computing in Higher Education*, 2015.

2. Lane Fischer, John Hilton, David Wiley, Linda William, 2016 : Maintaining momentum toward graduation: OER and the course throughput rate, *The International Review of Research in Open and Distributed Learning*, 2016.

3. Catherine Cronin, 2017: Openness and praxis: exploring the use of open educational practices in higher education, *International Review of Research in Open and Distributed Learning*, 2017.

الكلمة للشباب

بمناسبة اليوم العالمي للشباب، 12 أغسطس، تخصّص الرّسالة هذه الصفحات لمشاريع اليونسكو المُوجّهة للأجيال الشابّة الراغبة في المشاركة في العمل التطوّعي وفي الحوار.

© UNESCO / Vesal Sulaiman

لو كنت...

تحمل الصورة عنوانا غريبا : «*هذه القبور التي تبعث فينا الحياة*». وصورة غريبة تلك التي التقطها فيزال سليمان، شاب يبلغ من العمر 27 سنة، يعيش في ألمانيا. يقول عنها فيزال : «إنها تغمرني بالكآبة وبالفرح، في نفس الوقت». هي صورة تُخلّد تذكارا من رحلته إلى كابول، عندما شاهد أطفالا مُجبرين على غسل القبور مقابل مال قليل. في قلب الشتاء، والأيادي جامدة، يصعدون إلى قمّة الهضبة وراء المسجد لجلب الماء ! وعندما يسألهم إن كانوا يحبّون هذا الشغل، يُجيبونه : «*طبعا، فهو يسمح لنا بالذهاب إلى المدرسة*».

ويُضيف فيزال : «*حاولت أن أتخيّل نفسي مكانهم*». فيزال هو من بين العشرة مشاركين الذين وصلوا إلى الدور النهائي في مسابقة "لو كنت..." التي نظّمتها اليونسكو في الفترة من 24 فبراير إلى 12 مارس 2017، عبر وسائط الإعلام الاجتماعية باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والإسبانية. وقد سجّلت اليونسكو 837 ترشّحا من 117 دولة.

المشاركون، الذين تتراوح أعمارهم بين 21 و30 سنة، تخيّلوا أنفسهم مكان أشخاص آخرين، بواسطة كاميرا أو آلة تصوير.

ولمكافأتهم ، سيحصل الفائزون العشرة على جهاز *آيباد* صغير. وسيعرضون صورهم أو أشرطتهم خلال "المؤتمر الدولي الثاني حول الشباب المُتطوّع والحوار : تلافي التطرّف العنيف ودعم الإندماج الإجتماعي"، الذي سيلتئم في مقر اليونسكو بباريس من 25 إلى 27 سبتمبر 2017.

وسوف تمنح هذه الأيام الثلاثة إلى الشبان المُشاركين فرصة لتبادل الخبرات والمعارف التي اكتسبوها كمتطوّعين في مختلف المجالات المُتّصلة بمهام اليونسكو. وسيُدعون إلى تقديم مشاريع تعاون بهدف تنمية التضامن والتعاطف والفكر النقدي والإلتزام الإجتماعي والمشاركة المدنيّة.

أربع محاور تمّ الإحتفاظ بها للورشات وللجلسات العامّة وهي : اللّاجئون والهجرة، والتربية متعدّدة الثقافات، ودور وسائط الإعلام والشبكات الإجتماعية في بناء حوار إيجابي، وتعهّد الشباب بحماية التراث الثقافي.

للاتصال : youth-conference@unesco.org

مُتطوّعون من أجل التراث العالمي

تمّ إطلاق حملة التطوّع من أجل التراث العالمي منذ سنة 2008. وهي حملة تمنح للشباب المُتطوّعين فرصة بذل الجهد لحماية مواقع التراث العالمي، ولاكتساب الكفاءات وللغوص في حياة التجمعات المحلية.

وبمناسبة الذكرى العاشرة لانطلاق هذه الحملة، يتم فتح 51 ورشة عمل في 32 دولة، خلال الفترة من مايو إلى نوفمبر 2017، يشارك فيها شباب حريص على حماية التراث العالمي، وذلك في مواقع مثل معابد فاجرايوجيني في واد كاتمندو في النبال، والأديرة المُقامة في القرن السادس عشر على سفاح جبل بوبوكاتابتل في المكسيك، وحدائق وايمر ومنتزهاته في ألمانيا، والقمم الشامخة للحديقة الوطنية لجبال روانزوري في أوغندا، وفي أماكن عديدة أخرى من العالم.

وتنظم هذه الحملة بالإشتراك مع برنامج تربية الشباب على التراث العالمي، الذي تمّ بعثه سنة 1994 من طرف اليونسكو، والذي يهدف إلى تكوين صنّاع قرار المستقبل وتشجيعهم على المشاركة في المحافظة على التراث العالمي، وعلى التصدّي للمخاطر التي يتعرّض إليها باستمرار.

للاتصال : إناس يوسفي
(i.yousfi@unesco.org)

منتدى للشباب في محمية للمحيط الحيوي

يُمثّل الشباب، وخاصّة أولئك الذين يعيشون أو يشتغلون في محميات المحيط الحيوي، مستقبل هذه المناطق التي تحتوي على أنظمة بيئية برّية وبحرية وساحلية. وتعمل اليونسكو على تشريكهم في تطوير أراضيهم وعلى دعوتهم إلى الإسهام في أنشطة برنامجها حول الإنسان والمحيط الحيوي.

ولذلك، قرّرت أمانة برنامج الإنسان والمحيط الحيوي والمكتب الجهوي لليونسكو بالبندقية تنظيم منتدى للشباب، من 18 إلى 23 سبتمبر 2017، في محميّة المحيط الحيوي بدلتا نهر بو في إيطاليا. وقد رحّب بهذه المبادرة المؤتمر العالمي الرابع لمحميات المحيط الحيوي في ليما بالبيرو، في مارس 2016 لمّا تمّ الإعلان عنها.

ويهدف هذا المنتدى، المُخصّص للشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 18 و35 سنة، إلى تكوين المشاركين ليُصبحوا فاعلين في التغيير ومؤسسين لمجتمع أكثر عدالة وديمومة. من بين أهمّ محاوره : تبادل أفضل التجارب وتدعيم محميات المحيط الحيوي كوسائل لتحقيق أهداف التنمية المستدامة، من حسن إدارة الموارد الطبيعية إلى الإقتصاد الأخضر، ومن السياحة المستدامة إلى التربية.

كما يتطابق هذا المنتدى مع الإستراتيجية العمليّة من أجل الشباب لمنظمة اليونسكو (2014–2021) التي تعتمد على اعتبار الشباب شركاء حاسمين وفاعلين أساسيين في التنمية وفي السلام.

وقد شارك الشباب في استشارة واسعة عبر الإنترنت لبلورة بعض الأفكار حول المسائل التي ستُناقش في المنتدى، أدّت إلى إبراز ثلاثة محاور أساسية : مساهمة الشباب في حياة محميات المحيط الحيوي، والبحوث والدراسات حول التنمية المستدامة لهذه المحميات بما يُساهم في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، وكيفية ضمان مستقبل دائم للشباب بتمكينه من التعبير عن مشاغله وبتشجيعه على تبادل الممارسات الجيدة ومشاريع بعث المؤسسات، قصد عرضها على المانحين المُحتملين.

للاتصال: فيليب بايبارت
(p.pypaert@unesco.org)

حوار بين الثقافات وبين الأديان

بحضورها في كل أصقاع العالم، تسعى اليونسكو إلى تطوير المحيط الملائم لجعل الشباب مُتألّقا وشاعرا بمسؤوليّته، وذلك بالتشجيع على الإبتكار والإبداع والتفكير، وخاصّة في المواضيع المتصلة بأحداث الساعة الحارقة على غرار الصراعات بين الثقافات وبين الأديان.

ولتفعيل هذه الغايات بأعمال ملموسة، يدعو مكتب اليونسكو بألماتي، كازاخستان، باحثين شبان ومناضلين من كازاخستان، ومن كيرغيزستان ومن تادجيكستان ومن أوزباكستان، إلى الندوة الأولى للشباب حول الحوار بين الثقافات وبين الأديان، يوم 21 سبتمبر 2017. الهدف : إيجاد الحلول للتوقّي من الصراعات المتفشية في المنطقة بين الثقافات وبين الأديان.

يشتمل البرنامج على عدة أنشطة : ورشة حول الحوار بين الثقافات، تقديم للثقافات الجهوية، تبادل الخبرات، تطوير تفهّم المواقف وردود الفعل في الثقافات الأخرى، والتفكير في سبل تجاوز الصعوبات القائمة على الفوارق بين الثقافات.

في الخلاصة، هي بادرة تهدف إلى تنمية الحوار بين الأديان والتقاليد الروحية والإنسانية، ولمعرفة تفاعلاتها وتأثيراتها لمقاومة الأفكار المسبقة وللتوصّل إلى الإحترام المتبادل.

للاتصال: أرينا بلوخيخ
(a.plokhikh@unesco.org)

© Aya Biosphere Reserve

تربية الشباب على المحافظة على البيئة في محمية آيا للمحيط الحيوي في اليابان.

إنطلاقة جديدة

لرسالة اليونسكو

«في عنوان هذه النشرية الرّمزية ما يكفي لتجسيم كيان منظّمتنا. منذ العدد الأوّل، الذي صدر في فبراير 1948، وإلى العدد الذي أمسكه بين يديّ، بقيت الرّسالة وفيّة لمهمّتها : دعم المُثل التي تسعى اليونسكو إلى نشرها، حفز أرضية للحوار بين الثقافات، وإنشاء منبر للنقاش مفتوح على العالم».

© UNESCO

« تحيا الرسالة ! »،هكذا احتفى الشباب بالعودة إلى نشر رسالة اليونسكو، في باريس، يوم 27 أفريل.

تلك هي العبارات التي صرّحت بها إيرينا بوكوفا، المديرة العامة لليونسكو، بمناسبة عودة رسالة اليونسكو إلى الصدور، وذلك في دياويوتاي ستايت جغستهاوس بالصين، في 13 مايو 2017.

بعد انقطاع دام خمس سنوات، بسبب ضائقة في الميزانية، عادت المجلة لتبدأ حياة جديدة في أبريل 2017، بفضل دعم سخيّ من جمهورية الصين الشعبية. وتصدر الرسالة مرّة كل ثلاثة أشهر وتُطبع بكمّيات محدودة، وستكون مُتوفّرة من جديد على النت (ar.unesco.org/courier) في سبع لغات : الإنجليزية والعربية والصّينية والإسبانية والفرنسية والبرتغالية والرّوسية. الإشتراك في النسخة الرقمية مجاني، وبعض نقرات تكفي للحصول على الأرشيف. ولقد تمّت بلورة استراتيجية لدعم حضورها الرّقمي كما أن عملا تشاركيا سيتمّ في القريب المنظور، من أجل إحداث نسخ في لغات جديدة.

«لقد كانت المجلّة، في الثمانينات، تصدر في 35 لغة، بفضل تعاون اللجان الوطنية». هذا ما ذكّرت به إيرينا بوكوفا بمناسبة الإنطلاقة الجديدة للرسالة بمقر اليونسكو، يوم 27 أبريل 2017، قبل أن تُعبّر عن يقينها بأن الشراكة مع الصين ستُشجّع *«العديد من الفاعلين في القطاعين العمومي والخاص ليُصبحوا شركاء في تطوير الرسالة على الصعيد العالمي»*.

© CTPH

بمناسبة العودة إلى نشر مجلة رسالة اليونسكو، انتظم إحتفال في بيجين يوم 13 مايو بحضور إيرينا بوكوفا، المديرة العامة لليونسكو، وهوانغ كان مينغ، النائب التنفيذي للوزير بقسم الدعاية في الحزب الشيوعي الصيني، وتيان كسو، نائب الوزير الصيني للتربية ورئيس اللجنة الوطنية الصينية لليونسكو، وتان يو، رئيس شاينا بيليشينغ غروب، ودو يو أمين عام اللجنة الوطنية الصينية لليونسكو.

معرض

ضد العنصرية "العاديّة"

ماذا يقول علم الجينات عن تنوّع الجنس البشري ؟ من أين أتت الرهبة من الأجانب ؟ كيف نُفسّر السلوك والكلام العنصريّين ؟ أيّ نموذج يُمكن تبنّيه للعيش معا، مع احترام المساواة في الحقوق ؟ تلك هي بعض المسائل التي يثيرها معرض نحن والآخرون المُقام في متحف الإنسان بباريس من 31 مارس 2017 إلى 8 يناير 2018، برعاية اليونسكو.

هذا المعرض، الذي يرتكز على دراسات في الأنثروبولوجيا، والبيولوجيا، وعلم الاجتماع والتاريخ، يندرج في منهج تفكيك أصول العنصرية، وهو نفس المنهج الذي تتّبعه اليونسكو في واحدة من مهامّها ذات الأولويّة : مقاومة الأحكام المسبقة والصور النمطية للأجناس البشرية، ومقاومة الهويّات المُجمّدة وخصوصيات الآخر التي يُنظر إليها كحدود رمزية بين نحن والآخرين، وذلك بالاعتماد على العلم وعلى تحسيس الجمهور.

ولبلوغ ذلك الهدف، يُقدّم المعرض للزائرين مسارا تفاعليّا يدفعهم إلى التفكير في الآليات الفردية والجماعية التي تُؤدّي إلى نبذ الآخر. كما يُبرز المعرض الائتلاف الدولي للمدن الشاملة والمستدامة لليونسكو، تلك الأرضية التي تهدف إلى دعم التعايش في المجتمعات.

تقترح اسطوانة الأنماط على الزائرين فهم عملية تصنيف «الآخرين» التي نساهم في ترسيخها، و كيف تؤدّي إلى صور نمطية وإلى أحكام مسبقة، وفي النهاية، إلى العنصرية «العاديّة».

© Atelier Confino

منشورات اليونسكو

منظمة الأمم المتحدة
للتربية والعلم والثقافة

www.unesco.org/publishing
publishing.promotion@unesco.org

التقرير العالمي حول علوم المحيطات

الوضع الحالي لعلوم المحيطات في العالم

الملخص التنفيذي مُتوفّر على الموقع
www.unesdoc.unesco.org

المحيط هو أكثر الأنظمة البيئية إتّساعا في كوكبنا، وهو يقوم بتعديل تغيّرات النظام المناخي وتقلّباته، ويخضع له الإقتصاد كما التغذية، والصحة والرفاهة، وتوفير الماء والطاقة في كامل الكرة الأرضية. يعرض التقرير العالمي حول علوم المحيطات، لأوّل مرّة، الأوضاع الحالية ومدى تطوّر القدرات في مجال علوم المحيطات عبر العالم. ويقدّم التقرير نظرة شاملة حول الفاعلين، وحول منهجيات علوم المحيطات ومجالات تطبيقها : إنتاج المعرفة، المساعدة على المحافظة على صحّة المحيطات، تمكين المجتمع بشكل يسمح بالتصرّف الدائم في المحيطات في إطار برنامج 2030 للأمم المتحدة.

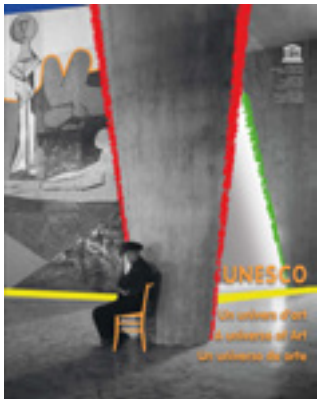

اليونسكو – عالم للفن

ISBN 978-92-3-000027-1

432 صفحة، 33،5X26 صم، مُجلّد، 54 يورو

يجمع هذا الكتاب بعضا من أجمل الأعمال الفنية من مجموعة اليونسكو. تُغطّي هذه المجموعة فترة تاريخية تفوق 6000 سنة، هي بمثابة مرآة للتنوّع الإبداعي في العالم. وهي تضم فنانين مجهولين إلى جانب أكبر الأسماء في الفن العالمي : خوان ميرو، جون آرب، كارل آبال، أفرو باسالديلا، روبرتو ماتا، ألكسندر كالدر، أدواردو شيليدا، هنري مور، روفينو تامايو، أنطوني تابيس، إسامو نوغوشي، جيزوس رافائيل صوتو، لو كوربوزياي، كارلوس كروز-دياز، إيرو، تاداو أندو، وغيرهم كثيرون. وتعُدّ مجموعة اليونسكو أكثر من 800 عمل فني. ولقد تمّ إثراؤها بفضل سخاء الدول الأعضاء. وهي تشكل أهم إرث فني للأمم المتحدة.

التراث العالمي عدد 83

متاحف ومراكز استقبال

ISSN 1020-4520 - EAN 3059630102834

88 صفحة، 28X22 صم، مُغلف، 7،50 يورو

بالنظر إلى التنامي السنوي للسياحة في العالم، فإن المتاحف ومراكز الإستقبال أساسية لمساعدة الزوّار على فهم الأهمية الثقافية والتاريخية لمواقع التراث العالمي، بما في ذلك حدائق الحيوانات وأحواض السمك التي ما انفكّ دورها يزداد أهميّة في المحافظة على الأجناس. يعرض هذا العدد من مجلة التراث العالمي تأثير عدد من هذه المراكز ومساهمتها في التجربة التي عاشها الزائرون، في ما يتعلّق بإعادة إحياء المتاحف التابعة لمواقع التراث في كمبوديا أو في لاووس أو في فيتنام ؛ وبأهمية المتحف القومي لقصر المكسيك ؛ وبوظائف المحافظة والتربية والبحث في حديقة الحيوانات في فيانا ؛ وكذلك مركّب دار-ورشات-متحف بلانتان-موريتوس (بلجيكا) وهي مطبعة ودار نشر تعود إلى عصر النهضة وإلى العهد الباروكي.

للإشتراك في رسالة اليونسكو